الدكتور أحمد زكي أبو شادي ونقض الفكر الإلحادي

دراسة نقدية في مقال:

(لماذا أنا مؤمن؟)، ردًا على مقال (لماذا أنا ملحد؟)

إعـداد

دكتور/ نجفة السيد الشنهاب عيطة

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر الشريف - جمهورية مصر العربية

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م

الدكتور أحمد زكي أبو شادي ونقض الفكر الإلحادي دراسة نقدية في مقال: (لماذا أنا مؤمن؟)، ردًا على مقال (لماذا أنا ملحد؟)

نجفة السيد الشنهاب عيطة
قسم الأدب والنقد -كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني:
Nagfa Eita712.el@azhar.edu.eg

الملخص:

هذا البحث يبين الجانب الإسلامي، والدور البارز للدكتور أحمد زكي أبي شادي في مناهضة الفكر الإلحادي المضلل، الذي أطلّ برأسه في ثلاثينيات القرن العشرين، في فكر الدكتور إسماعيل أدهم، الذي تأثر بنظرية دارون، والفكر الماركسي، وتعصب ضد الإسلام وعقيدة الألوهية، فكتب ردًّا علىٰ محاضرة الدكتور أحمد زكي التي بعنوان: «عقيدة الألوهية»، مقالًا بعنوان: «لماذا أنا ملحد؟»، مما دفع الدكتور أحمد زكي للرّد عليه في مقالته: «لماذا أنا مؤمن؟»، ناقدًا ما ادعاه د. أدهم من إرجاع كل ما يحدث في الوجود إلىٰ قانون «الاحتمال، فلا الغربيون الذين ينقل عنهم إسماعيل أدهم –قالوا بذلك ... ولا هو قدّم تعليلًا معقولًا للوجود القائم علىٰ الاحتمالات– دون سببية، ودون مسبب للأسباب.

ويقوم البحث علىٰ مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرسين.

في المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، وأسباب دراسته، وخطة البحث، والمنهج الذي اتبعته، والدراسات السابقة.

وفي التمهيد: التعريف بالأديبين، ومفهوم الإلحاد، وأسبابه.

وتضمن المبحث الأول: البناء الفني للمقالتين محل الدراسة: (العنوان، المقدمة، العرض، الخاتمة).

أما المبحث الثاني فبعنوان: التحليل النقدي للمقالتين، ويضم أبرز الخصائص الفنية.

ثم الخاتمة لأهم النتائج، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية:

الدكتور أحمد زكي، نقض الفكر الإلحادي، دراسة نقدية، لماذا أنا مؤمن؟ لماذا أنا ملحد؟

Dr. Ahmed Zaki Abu Shadi and the Critique of Atheistic Thought: A Critical Study of the Article: "Why I Am a Believer?" in Response to the Article "Why I Am an Atheist?"

Nagfa El-Sayed El-Shenhab Ayta

Assistant Professor of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University

Email: Nagfa Eita712.el@azhar.edu.eg

Abstract

This research elucidates the Islamic perspective and the prominent role of Dr. Ahmed Zaki Abu Shadi in confronting the misleading atheistic thought that emerged in the 1930s within the intellectual framework of Dr. Ismail Adham. Dr. Adham, influenced by Darwin's theory and Marxist thought, displayed prejudice against Islam and the doctrine of divinity. In response to Dr. Ahmed Zaki's lecture entitled **"The Doctrine of Divinity,"** *Adham wrote an article titled* **"Why I Am an Atheist,"** *prompting Dr. Ahmed Zaki to reply with his own article,* **"Why I Am a Believer?** *",critically analyzing Dr. Adham's claim that everything in existence is attributable to the law of "probability." Dr. Abu Shadi argued that neither the Western thinkers cited by Ismail Adham had asserted such a notion, nor had Dr. Adham provided a reasonable explanation for an existence based solely on probabilities, devoid of causality and a First Cause.*

The study is structured into an introduction, a preface, two main sections, a conclusion, and two indexes.

The ***introduction*** *addresses the significance of the topic, the reasons for undertaking this study, the research plan, the methodology employed, and a review of previous studies.*

*The **Preface** provides an introduction to the two writers, defines the concept of atheism, and explores its causes.*

*The **first section** focuses on the artistic structure of the two articles under study — their titles, introductions, body content, and conclusions.*

*The **second section**, titled "A Critical Analysis of the Two Articles," highlights the most prominent artistic features.*

The conclusion summarizes the key findings, followed by an index of sources and references, and another index of topics.

***Keywords**: Dr. Ahmed Zaki, critique of atheistic thought, critical study, Why I Am a Believer, Why I Am an Atheist*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فظاهرة الإلحاد تعدّ من أبرز قضايا الفكر المعاصر، ومشكلات العصر، وقد انبرت فئة من علماء الإسلام وأدبائه في التصدي لتلك الظاهرة ومقارعة أصحابها بالحجة الدامغة، ومن هؤلاء: الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي جمع بين ثقافة الشرق والغرب جمعًا مستنيرًا، لينفي الشك وينشد اللباب، إزاء الفكر الإلحادي لدىٰ د. إسماعيل أدهم –ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي يعالج معضلة قائمة؛ يرىٰ أصحابها في الهجوم علىٰ الإسلام آية من حرية الفكر والاعتقاد، ومن ثم يبرز الدور الرائد للأديب في مناهضة الملحدين بالحوار الهادئ، والأسلوب الهادف، فلا يفلّ الفكر إلا الفكر، ولا يقاوم الوهم المنحرف إلا باليقين الثابت، كما لم يغفل البحث دور العلامة «محمد فريد وجدي» في الرد علىٰ مقالة «لماذا أنا ملحد؟»، بمقالة: «لماذا هو ملحد؟».

ومما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع عدة أسباب، منها:

– أن الدراسات التي تناولت الأديب أبا شادي، عنيت بإبداعاته الأدبية والنقدية في الفن الشعري[(١)]، ولم يلتفت أحد من الدارسين لاتجاهه الإسلامي في مواجهة الفكر الإلحادي.

---

(١) يراجع: أبو شادي في الميزان، محمد عبد الوهاب، القاهرة، ١٩٣٣م، وأبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، كمال نشأت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، جماعة أبو للو وأثرها في الشعر الحديث، ج١، د.عبد العزيز الدسوقي، ذاكرة الكتابة ١٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٤، ٢٠٠٠م.

- موقف إسماعيل أدهم المتعصب ضد الإسلام وعقيدته، في مقابل الدفاع الحار عن الإلحاد بالآراء المغلوطة، ولذلك تعدّ مواجهة الإلحاد حاجة عصرية ملحّة، في ظل الهجوم علىٰ الإسلام وعقيدته.

- الوقوف علىٰ جانب من جوانب عظمة أدباء الإسلام في الدفاع عن عقيدة التوحيد، وإبطال الاتجاهات السلبية المعادية للإسلام.

- دراسة خصائص المقال الفكري الجدلي عند الأديبين.

- شغفي واعتزازي بعقيدة الإسلام؛ نور الله الباقي علىٰ الدوام رغم تصدي المنحرفين عنها.

وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم إلىٰ مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

في المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، وأسباب دراسته، وخطة البحث، والمنهج الذي اتبعته في الدراسة، والدراسات السابقة.

وتناولت في التمهيد: التعريف بالأديب الناقد الدكتور أحمد زكي ونتاجه الأدبي والفكري، والتعريف بالأديب إسماعيل أدهم، وأسباب توجهه الإلحادي، ثم مفهوم الإلحاد وأسبابه.

أما المبحث الأول: فبينت فيه خصائص البناء الفني للمقالتين: «العنوان، المقدمة، العرض، الخاتمة».

وتضمن المبحث الثاني: التحليل النقدي للمقالتين، وإلقاء الضوء علىٰ أبرز الخصائص الفنية للمقالتين التي من أهمها: الأفكار والمعاني، والألفاظ والأساليب.

وكانت الخاتمة لأهم نتائج البحث، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أما المنهج الذي اعتمدت عليه في الدراسة: فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتناول الجوانب الكاشفة عن طبيعة الأديبين، وعلاقتهما بالمحيط الاجتماعي والثقافي، والوقوف مع أسباب ظاهرة الإلحاد، ثم التحليل النقدي للمقالتين.

الدراسات السابقة: هي مجرد وقفات عامة مع فكر «إسماعيل أدهم»، مبثوثة في مقالات مثل: إسماعيل أدهم: رائد الفكر الحرّ، مجلة الفكر الحر، العدد ٤٣.

- والملحدون العرب: دراسة حالة إسماعيل أدهم، مجلة الدراسات العربية، العدد ١٢.

- والفلسفة الإلحادية عند إسماعيل أدهم، مجلة الفلسفة، العدد ٢٥.

ومن الكتب: «إسماعيل أدهم حياته وفكره»، تأليف د. محمد عمارة، ولم يعن أحد من الدارسين بتقديم دراسة نقدية تحليلية لخصائص المقال الفكري عند الأديبين في هذا الموضوع.

والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

١ - التعريف بالأديب أحمد زكي، ونتاجه الأدبي والفكري:

هو الأديب الطبيب أحمد زكي أبو شادي، شاعر مصري مرموق، له مكانته بين الرواد المجددين في شعر النهضة الحديثة. ولد في ٩ فبراير ١٨٩٢م، وتلقىٰ تعليمًا أساسيًا مدنيًا، ثم التحق بكلية الطب، لكنه لم يكمل تعليمه بها، وذلك نظرًا لظروف صحية. اتصل بأعلام شعراء عصره، ومنهم شوقي، وحافظ، ومطران، فتعمقت معرفته بالأدب واللغة، رحل إلىٰ إنجلترا لاستكمال تعليمه، في كلية الطب، ونال إجازته الطبية سنة ١٩١٥م، واشتغل بالطب فترة قصيرة، ثم عني بدراسة النحالة وساهم في تأسيس معهد النحل الدولي سنة ١٩١٩م، ومجلة عالم «النحل»، كما ساهم في أثناء إقامته في لندن في تأسيس «النادي المصري».

وفي عام ١٩٣٢م أسس جماعة «أبولّو» وأصدر لها مجلة «أبولّو» وظلت تصدر شهريًا حتىٰ سنة ١٩٣٥م. شغل بالتحرير الأدبي في جريدتي «الظاهر» اليومية، و«الإمام» الأسبوعية التي كان يصدرهما والده. وفي سنة ١٩٤٦م فقد زوجه، وأحس بالغربة في وطنه فقرر الرحيل إلىٰ أمريكا في العام نفسه. وظل يكافح في مهجره ينتج شعرًا ونثرًا، ويذيع من صوت أمريكا أبحاثًا خصبة متنوعة في الأدب والفن، واللغة العربية، والإسلام، ويؤلف رابطة أدبية باسم «رابطة منيرفا»، ولكنه لم يجد الأمان لروحه والسكينة لقلبه، فعاوده الحنين إلىٰ مصر، يقول في قصيدته «القلب الباكي»:

يا مصر لولاك ما فارقت في حرق ... أزكىٰ الجنان ولا عوقبت لولاك

أهواك في غربتي أضعاف ما سمحت ... به المقادير في قربي وأهواك

وظل في أمريكا يناضل حتىٰ توفي في سنة ١٩٥٥م(١).

مكونات ثقافته:

تضافرت عوامل وراثية، وبيئية، واجتماعية، وجسدية، ونفسية في مؤثراته الفنية، يقول الناقد مصطفىٰ عبد اللطيف السحرتي:

«نلحظ أيضًا من تكوين أبي شادي الفسيولوجي هذه الحيوية العجيبة والنشاط الديناميكي ونحسب أن هذه الحيوية مرجعها إلىٰ غدته الدرقية الناشطة، ومظهر ذلك عيناه الصافيتان اللامعتان، وإلىٰ جهازه العصبي الحساس الذي يحكي جهاز الاستقبال، كما نلحظ نماء هذا النزوع في البيئة الأدبية التي عاش فيها، وما كان يستوحيه من مجالس أبيه التي كانت تجمع بين كبار الأدباء من أمثال: حافظ ومطران»(٢).

فبيت والده كان بمثابة صالون أدبي يجمع الأدباء والمفكرين والوطنيين، تعرف الأديب علىٰ معظم شعراء مصر، فضلًا عن الصدمة النفسية العميقة التي تمثل إخفاقه في حبه الأول، وشغفه بالإطلاع علىٰ آثار الفكر الإنجليزي بعد هجرته إلىٰ أمريكا،

---

(١) يراجع: الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ج١، ص٤١، ٤٢، ط١، ١٤٠٥- ١٩٨٥م، مكتبة الكليات الأزهرية، والأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ص٧٠، ٧١، دار المعارف، وقاموس الأدب العربي الحديث، إشراف وتحرير د. حمدي السكوت، ص٥٩، ٦٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٥م، والشعر المصري بعد شوقي، د. محمد مندور، الحلقة الثالثة، ص٧، روافد أبوللو، دار نهضة مصر، الفجالة، وجماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، ج١، د. عبد العزيز الدسوقي، ص١٤٠: ١٥٣.

(٢) مصطفىٰ عبد اللطيف السحرتي، د. كمال نشأت، ص١٠١، سلسلة نقاد الأدب (٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

والبيئة العلمية الطبية التي وسّعت مجال تأملاته، ودفعته إلىٰ الأدب كممارسة رياضة ذهنية نفسية(١).

مؤلفات الأديب:

تألق أبو شادي في سماء الفن الشعري، فترك دواوين كثيرة منها: أنداء الفجر، زينب، مصريات، أنين ورنين، شعر الوجدان، الشفق الباكي، مختارات وحي العام، أشعة وظلال، الشعلة، أطياف الربيع، أغاني أبي شادي، شعر الريف، الينبوع، عودة الراعي، من السماء، بالإضافة إلىٰ مؤلفاته النثرية والنقدية الأخرىٰ.

ولقد غطّت هذه الإبداعات الأدبية علىٰ الجانب الإسلامي في إبداعاته، من أمثال: «مذهبي»، «عظمة الإسلام»، «عقيدة الألوهية»، و«لماذا أنا مؤمن؟»، و«المال في الإسلام»، و«رسالة محمد»(٢).

(١) جماعة أبولّو وأثرها في الشعر الحديث، د. عبد العزيز الدسوقي، ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٦١، ١٨٠، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ص١٤١، ط١٩٥٧م، مؤسسة الرسالة.

٢- التعريف بالأديب إسماعيل أدهم، وأسباب توجهه الإلحادي:

هو الدكتور إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم، ولد في ١٧ فبراير ١٩١١م بحي محرم بك بالإسكندرية، من أبوين حملا في دمهما عناصر من سلالات متباينة الأصل، فهو من جهة والدته لأبيه يجري في عروقه الدم المغولي، ومن جهة جده لأبيه يجري في عروقه دم سلالة حوض البحر المتوسط حيث كان أبوه يونانيًا بالدم وضابطًا بالجيش التركي، في حين كانت أمه ألمانية، وهي السيدة إيلين فانتهوف، وكانت مسيحية بروتستانتية ذات ميل لحرية الفكر، رضيت بالزواج من مسلم محافظ من أشد المحافظين.

يصف إسماعيل أدهم نشأته الأولىٰ التي لابست طفولته وحياته الفكرية بقلمه فيقول: «في الواقع أنني درجت علىٰ تربية دينية لم تكن أقوم طريق لغرس العقيدة الدينية في نفسي، فقد كان أبي مسلمًا من المتعصبين للإسلام والمسلمين، وأمي مسيحية بروتستانتية ذات ميل لحرية الفكر والتفكير، ... ولكن سوء حظّي جعلها تتوفىٰ وأنا في الثانية من سني حياتي، فعشت طفولتي حتىٰ أواخر الحرب العظمىٰ مع شقيقتي في الأستانة، وكانتا تلقناني تعاليم المسيحية وتسيران بي كل يوم أحد إلىٰ الكنيسة، أما أبي فقد انشغل بالحرب وكان متنقلًا بين ميادينها فلم أعرفه أو أتعرف إليه إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها ودخل الحلفاء الأستانة، غير أن بعد والدي عني لم يكن يمنعه عن فرض سيطرته عليَّ من الوجهة الدينية، فقد كلّف زوج عمتي وهو أحد الشرفاء العرب أن يقوم بتعليمي من الوجهة الدينية، فكان يأخذني لصلاة الجمعة ... ويجعلني أصوم رمضان وأقوم بصلاة التراويح، وكان هذا يثقل كاهلي كطفل لم يشتد عوده بعد، فضلًا عن تحفيظي القرآن».

هكذا نشأ إسماعيل أدهم في ظل «تربية إسلامية متشددة وقاسية»، وفي ظل

«مسيحية فارغة خفيفة، كما حرّم والده عليه الاختلاط بأقرانه، مما هيّأ له فرصة الاطلاع والتعلم، فتعلم الألمانية والتركية علىٰ يد شقيقتيه، والعربية علىٰ يد زوج عمته، كما قرأ لداروِن «أصل الأنواع»، و«أصل الإنسان»، وخرج منهما مؤمنًا بالتطور، مما دفعه إلىٰ رفض الإسلام والثورة علىٰ شعائره(١).

وفي سنة ١٩٢٧م غادر إسماعيل أدهم مصر إلىٰ الآستانة – في ظل الثورة الأتاتوركية علىٰ الإيمان الديني – فدرس هناك الرياضيات، وانضم إلىٰ «جماعة نشر الإلحاد» التي كونها الطلاب الملحدون في جامعة الآستانة والتي ضمت ثمانمائة من طلاب المدارس العليا، وأكثر من مائتي طالب من المدارس الثانوية والإعدادية! ولقد اتصلت هذه الجمعية بنظيرتها الأمريكية، التي كان يديرها داعية الإلحاد تشارلز سمث، فتحول اسمها إلىٰ «المجمع الشرقي لنشر الإلحاد»، ثم تواصل مع صديقه الدكتور إسماعيل مظهر الذي كان يصدر مجلة العصور في مصر، والتي كانت تدعو إلىٰ التحرر الفكري والإلحاد، وغادر تركيا في بعثة لروسيا سنة ١٩٣١م، وظل إلىٰ عام ١٩٣٤م يدرس الرياضيات وبجانبها الطبيعيات النظرية، مما كان سببًا لنواله درجة الدكتوراه في الرياضيات البحتة من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣م، وفي نفس السنة نال الدكتوراه في الميكانيكا الجديدة.

لقد عمق المناخ المادي الماركسي الذي عاشه في موسكو النزعة الإلحادية عنده، وكانت دراسته العلمية والفلسفية، مع أسلوب تربيته، من أهم العوامل التي وصلت به إلىٰ هذا الموقف: «وكانت نتيجة هذه الحياة أنّي خرجت عن الأديان وتخليت عن كل

(١) يراجع: إسماعيل أدهم، د. أحمد الهواري، سلسلة نقاد الأدب (٤) (ص٦: ٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ولماذا أنا ملحد؟! إسماعيل أدهم، (ص٥، ٦)، دار النشر الإلكتروني.

المعتقدات، وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمي، ولشد ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي أسعد حالًا وأكثر اطمئنانًا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني»[١].

وبعد أقل من ثلاث سنوات من كتابته لهذا المقال: «لماذا أنا ملحد؟» - الذي كتبه ردًا علىٰ محاضرة الدكتور أحمد زكي أبو شادي «عقيدة الألوهية» التي نشرت ملحقة بمجلة «أدبي» ١٩٣٦م - عثر عليه ميتًا غرقًا في بحر الإسكندرية ١٩٤٠م، فمرض جسمه بالسّل، بعد أن مرض عقله بالإلحاد، وبسبب اليأس والقنوط الذي يولده الإلحاد ... تعجل الموت، فانتحر، وأوصىٰ بألا يدفن في مقابر المسلمين، وأن يحرق جسده[٢]. فأين تلك الطمأنينة أو السعادة التي حدثنا عنها إسماعيل أدهم بإلحاده!!

(١) لماذا أنا ملحد؟ (ص٨).

(٢) إسماعيل أدهم، د. أحمد الهواري، (ص٣، ٤)، الأعلام للزركلي، ج١، (ص٣١٠)، ط٩، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين.

٣- مفهوم الإلحاد:

الإلحاد في اللغة: «الميل عن القصد، لحد في الدين ألحد: مال وعدل، والملحد: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه»(١)، والإلحاد «لغة وشرعًا: هو الميل عن الحق إلىٰ الباطل»(٢).

الإلحاد اصطلاحًا: مذهب فكري ينفي وجود خالق الكون، ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله أو الألوهية، إذ إن مصطلح الألوهية يعني الاعتقاد بأنه يوجد إله، ويعد (ديموقريطس الأبديري) الفيلسوف اليوناني أول داع إلىٰ الإلحاد في العالم القديم(٣).

٤- أسباب الإلحاد:

الإلحاد: من أخطر قضايا الفكر المعاصر ، حيث يعتمد الملحدون علىٰ أقوال وافتراضات هي مسلمة عندهم، ولا يستطيع العقل الصحيح أن يقبلها، لأن هذه الحركات الإلحادية عارضة علىٰ الفطرة الإنسانية، إذ الأصل في الكون الإقرار بوجود الله تعالىٰ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، كل شيء يقر بوجود الله تعالىٰ، فالقرآن الكريم يخاطبنا بالعقل لإثبات وجود الله سبحانه في قوله

---

(١) لسان العرب لابن منظور، (٨/ ٤٥)، مادة: لَحَدَ، طبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، دار الحديث.

(٢) شرح المصطلحات الفلسفية، إعداد قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، (ص٣٨)، مكتبة مؤمن قريش.

(٣) يراجع: وهم الإلحاد، أ.د. عمرو شريف، (ص٣)، تقديم د. محمد عمارة، ومعجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، (ص٣٠٨)، ط٣، دار الطليعة، بيروت، وديموقريطس فيلسوف الذرة، وأثره في الفكر الفلسفي حتىٰ عصورنا الحديثة، أ.د. علي سامي النشار وآخرين، (ص١٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، والثابت بالمشاهدة أنه لا يوجد فساد في الكون، إذًا لا يوجد إله إلا الله.

كما يرد علىٰ النصارىٰ بقوله سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

فالله سبحانه واجب الوجود، ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠]، كيف يمكن أن أدْرك بعقلي المحدود الله (ﷻ) غير محدود؟، والملحدون في إنكارهم لوجود الله يعتقدون أن كل موجود لابد أن يكون محسوسًا، لكن العلم يثبت أن هناك أشياء كثيرة نقرّ بوجودها ولا نراها؛ كخفقان الروح في الجسم، والكهرباء مثلًا، كما أن هناك أشياء نراها وهي غير موجودة كظاهرة السراب الذي ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩].

- فنزعة الشك والجحود لدىٰ الملحدين هي - في الغالب - وليدة الغرور بنوع من العلم يظن صاحبه أنه أحاط بكل شيءٍ علمًا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية:٢٣]، أو الغرور بنوع من القوة ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، وهذا الغرور يؤدي إلىٰ الفوضىٰ الخلقية، واتباع الهوىٰ، بإلغاء فكرة الرقيب الأعلىٰ وتخريب الضمير الذي هو نور الله، وهكذا يتقلص إيمانه شيئًا فشيئًا، بإنكار وجود الله(١).

(١) يراجع: نظرات في الإسلام، أ.د. محمد عبد الله دراز، (ص١٧: ٢٠، ١٥٢)، إصدار خاص لهيئة كبار العلماء، طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة، وحوار مع صديقي الملحد، د. مصطفىٰ محمود، (ص١٠٨)، ط ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٩، تقديم: أ.د. محمد عمارة، ضمن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية السنة التاسعة والأربعون ٢٠١٨م.

- يقوم الإلحاد علىٰ خطأ كبير هو الفصل بين العلم والدين والعقل، والزعم بأن الدين أفيون الشعوب، مع أن القرآن الكريم واضح الدلالة في الحضّ علىٰ العلم، يقول (ﷻ): ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وأول آية في القرآن الكريم تحض علىٰ العلم يقول (ﷻ): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

والعلماء في القرآن موعودون بأرفع الدرجات ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وفي أكثر موضع من القرآن الكريم يحض الله تعالىٰ علىٰ إعمال العقل والتفكير: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]، فديننا أمر بالعلم، وحثَّ عليه، وجعله سبيلًا إلىٰ خشية الله يقول (تبارك اسمه): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. فجوهر الإسلام عقلاني منطقي يقبل الحوار والجدل، ويحض علىٰ النظر والتعقل(١).

والله سبحانه يخاطب في كتابه العزيز – الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا

(١) يراجع: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، (ص١٤٥)، إصدار خاص لهيئة كبار العلماء، الكتاب الحادي عشر، طبع بمطابع الجمهورية، وعزيزي الملحد (أسئلة الملحدين أمام العقل والعلم)، د. محمد محمد داود، (ص٢٥)، ج١، ط١، ٢٠١٥م، دار نهضة مصر، والتفكير فريضة إسلامية للعقاد، (ص١٧)، منشورات المكتبة العصرية.

حد[١]، والعلم تراث إنساني عام، حثَّ الدين علىٰ طلبه كما في الحديث الشريف: «مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة»[٢].

فليس ثمة وجه لصحة ما يردده الغرب من «أن الدين هو أفيون الشعوب، وأنه نوع رديء من خمرة العقل، التي تحجب ذاكرة الأرقاء لرأس المال عن أن يعوا وجه إنسانيتهم، ومطالبهم في وجود إنساني، علىٰ منتصف طريق الإنسانية»[٣].

من أسباب الإلحاد:

-نظرية التطور للبيولوجي «تشارلس دارون»، فمنذ أن طرح دارون نظريته عام ١٨٥٩م في كتابيه «أصل الأنواع» ثم «أصل الإنسان» والصراع لا يهدأ بين الملاحدة والمتدينين، بالرغم من أن دارون نفسه كان مؤمنًا بالإله!

ففي سيرته الذاتية يقول: «من الصعب جدًا، بل من المستحيل أن يكون كونًا هائلًا ككوننا، وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ بمحض الصدفة العمياء، أو لأن الحاجة أم الاختراع، وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود، أجدني مدفوعًا إلىٰ القول بمصمم ذكي، ومن ثمَّ فإني أؤمن بوجود الإله»[٤].

---

(١) التأويل العبثي للوحي والنبوة، دراسة نقدية لكتاب «بسط التجربة النبوية»، أ.د. محمد عمارة، (ص٥٤)، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٢) رواه الترمذي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي، ج٦، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م.

(٣) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، أ.د. محمد البهي، (ص٥٥)، دار الجمهورية للصحافة.

(٤) وهم الإلحاد، أ.د. عمرو شريف، تقديم أ.د. محمد عمارة، (ص٧٩)، ضمن هدية مجلة الأزهر شهر المحرم، ١٤٣٥ هـ، وعن مفهوم الداروينية والتطور، يراجع (ص٨٠: ٨٢).

رغم أن الأديب إسماعيل أدهم كثيرًا ما افتخر بأنه داروني(١).

فالعلم المجرد قد هدىٰ ألوف العلماء إلىٰ الله، ووقفهم أمام قدرته الرائعة مبهورين، قال «فرانسيس بيكون»: «إنَّ قليلًا من الفلسفة يجنح بالعقل إلىٰ الإلحاد، ولكن التعمق في الفلسفة خليق أن يعود بالمرء إلىٰ الدين».

وقال «ديل كارنيجي»: «إني لأذكر الأيام التي لم يكن للناس حديث فيها سوىٰ التنافر بين العلم والدين، ولكن هذا الجدال انتهىٰ إلىٰ غير رجعة»(٢).

فاستناد الإلحاد المعاصر علىٰ الزعم بالاستغناء بالعلم التجريبي دون ما سواه، هو زعم باطل، إذ لا تعارض بين العلم والدين.

ويقول المستشرق الفرنسي «إدوارد مونتيه»: «إن لدين محمد كل العلامات التي تدل علىٰ أنه مجموعة من العقائد قامت علىٰ أسس المنطق والعقل، إن الإيمان بالله والآخرة في الإسلام يستقران في نفس المتدين علىٰ أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن»(٣).

فالذين يدّعون الفصل بين العلم والدين هم أدعياء العلم، فهم يفكرون ليفجروا، وينكرون الإله ليتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله.

– للبيئة والتنشئة دور كبير في التوجه الإلحادي، فبيئة إسماعيل أدهم المضطربة بين تعصب والده، وزوج عمته لتعاليم الإسلام، وسخرية أختيه بتعاليم النصرانية، إضافة إلىٰ التعليم الإلحادي الذي تلقاه في الاتحاد السوفيتي أكبر الأثر في التكوين النفسي المضطرب وغير السوي، والتعصب ضد الإسلام، فضلًا عن تأثره بالفكر

---

(١) لماذا أنا ملحد؟ إسماعيل أدهم، (ص٦، ٨)، مرجع سابق.

(٢) جدد حياتك، محمد الغزالي، (ص٢٣٤)، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة والعشرون، ٢٠٢٠م.

(٣) التأويل العبثي للوحي والنبوة، أ.د. محمد عمارة، (ص٥٥)، مرجع سابق.

الماركسي والفلسفات المادية التي تقرر أن الكون نشأ بمحض الصدفة، وأنه قد شكل ذاته! مع أن ذلك من المستحيلات المنطقية أن يمارس شيء ما تأثيرًا قبل أن يوجد! والله ﷻ يرد علىٰ هؤلاء المارقين عن عرىٰ الإيمان بقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

ولو كانت المصادفة هي التي أنشأت الكون بهذا النظام البديع بغير قصد، فَمنْ الذي يمسكه ويحفظه من الزوال وهو بعد عرضة في كل لحظة لما لا يحصىٰ من المصادفات، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

فنشأة الإلحاد لم تكن مشكلة علمية، بل هي مشكلة نفسية فلسفية، لإثقال العقل الغربي بالفروض والشكوك الفلسفية التي دفعت قطاعات من العقل الفلسفي الغربي إلىٰ الزندقة والإلحاد في ظل تعصب رجال الكنيسة ضد العلماء وتنكيلهم بهم، وحصرهم الدين في طقوس تقام داخل جدران الكنيسة(١).

وفرق بين الشك العبثي الذي يناقض الفطرة والشك المنهجي الذي عدّه الجاحظ شرطًا لتحصيل الاعتقاد الصحيح عن يقين فقال: «فاعرف مواضع الشك وحالاته الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلمًا، ... فلم يكن يقينًا قط حتىٰ كان قبله شك، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلىٰ اعتقاد غيره حتىٰ يكون بينهما حال شك»(٢).

---

(١) الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، (ص٣٢٩: ٣٥٨)، طبعة دار الشروق، القاهرة سنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) الحيوان للجاحظ، ج٦، (ص٣٥، ٣٧)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة.

المبحث الأول: البناء الفني للمقالتين

لا شك أن لكل كاتب رؤيته الفنية والإبداعية الخاصة، التي تتضافر معًا لتشكيل القالب الفني للمقالة، فهي ليست مجرد قوالب جامدة يصب فيها الكاتب ما يريد الإفصاح عنه، بل تتشكل وفقًا لرؤيته، وبراعته في عرض أفكاره وموضوعاته.

١ - ومما يميز البناء الفني لمقالة الدكتور أحمد زكي «لماذا أنا مؤمن؟»، ومقالة الدكتور إسماعيل أدهم «لماذا أنا ملحد؟» اشتمالهما علىٰ الخصائص المعهودة للمقالة من: «العنوان، والمقدمة، والعرض، والخاتمة».

أولاً: البناء الفني لمقالة «لماذا أنا مؤمن؟»:

أولاً: العنوان:

يؤدي العنوان في الأعمال الأدبية دورًا رئيسًا في تقديم رؤية الكاتب، وترجمة أفكاره إلىٰ المتلقي، إذ العنوان يمثل نصًا موازيًا يختزل النص الأصلي في داخله، وفيه تكمن عناصر التشويق والجذب للقارئ، أو النفور منه والابتعاد عن مطالعته، فهو أول ما يجب التركيز عليه.

ففي معاجم اللغة: العنوان مأخوذ من: (عَنَّ الكتاب يعنّه عنّا وعننه: كعَنْونه، وعنونته، ويسمىٰ عنوانًا لأنه يعنّ الكتاب من ناحيته) (١). و(عنون) الكتاب عنونة، وعنوانًا: كتب عنوانه. (العنوان): ما يستدل به علىٰ غيره، ومنه عنوان الكتاب(٢).

وفي اصطلاح النقاد: العنوان: «مصطلح إجرائي ناجح في مقاربة النص الأدبي، ومفتاح أساسي يتسلح به المحلل للولوج إلىٰ أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها»(٣).

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٨٦)، مادة: عَنَنَ.

(٢) المعجم الوسيط، (ص٦٣٣)، ط٤، ٢٠٠٥م، دار الشروق.

(٣) سيمياء العنوان، بسام قطوس، (ص٤٩)، ط ٢٠٠١م، عمان، الأردن، وزارة الثقافة.

والعنوان الذي اختاره الكاتبان بالأسلوب الإنشائي، وصيغة الاستفهام؛ يتعاضد مع الفكرة العامة، والأفكار الواردة في المقالتين، إذ يتضمن إرساء الأسس والمبادئ التي جعلت أحدهما يؤثر الإيمان (لماذا أنا مؤمن؟)، والآخر يؤثر الإلحاد (لماذا أنا ملحد؟).

فالاستفهام الذي يناقش الأديبان القضية من خلاله معناه الأصلي: طلب الفهم من المخاطب وإثارته، وتحريك ذهنه لقبول ما يتضمنه بأسلوب الترقب، وشحن النفوس بمزيد من التوتر والتحفيز للموضوع، مما يدخل ضمن (المقالة الجدلية) التي تناقش فكرة ما وتبين ما بها من خطأ وصواب، وصدق وكذب، فالموضوع هنا سؤال يناقشه الكاتب ويجيب عنه بما يراه(١).

وبذلك يتضح أن العنوان الأول: رسالة تحفيزية للإيمان، والعنوان الثاني: رسالة تحفيزية للإلحاد، بذل الكاتبان أقصىٰ الغايات في تدعيم تلك الرسالة في النفوس، ومحاولة إقناع القارئ بالفهم السديد لجوهر الإيمان، أو الاستدراج لمعسكر الكفر.

فالعنوان يكشف عن طبيعة الموضوع الذي يعالجه الكاتبان، حيث اختار كل منهما إطار المقالة الفكرية التي «تعرض لشؤون الفكر – دينية كانت أو فلسفية بالبحث والتحليل، والتفسير والتعليل، فهي تعتمد أولًا وأخيرًا علىٰ تفكير الكاتب»(٢).

فالموضوع إذن: مناقشة قضية الإيمان من منظور الثقافة الإسلامية القائمة علىٰ

---

(١) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج١، ص٤١١، ط٨، ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي.

(٢) فن المقال في ضوء النقد الأدبي، د. عبد اللطيف محمد الحديدي، (ص٥٥)، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م.

الفهم والاقتناع والبراهين العقلية، ومناقشة قضية الإلحاد من منظور الزعم الواهي، والاعتقاد الخاطئ القائم علىٰ قلب الحقائق والإنكار للثوابت البديهية، وحتىٰ الآراء الفلسفية التي أقرّها الفلاسفة في الاعتراف بوجود الخالق (ﷻ) لهذا الكون كما سيتضح في عرض الموضوع في المقالتين.

واستخدام ضمير المتكلم «أنا» المقترن بصيغة اسم الفاعل «مؤمن»، و«ملحد»؛ يوحي بقوة عاطفة الكاتبين في التشبث، والتصميم وقوة الإرادة في التعلق بما يرتكز في أغوار النفس، وإن كانت في الأولىٰ «تنبعث عن سبب صحيح غير زائف»(١)؛ لأن الإيمان فطرة في النفوس، أما الإلحاد فحركة طارئة علىٰ النفس البشرية، ومبني علىٰ فكرة خاطئة، تصدم الحس الإيماني وتتعارض مع الفطرة.

فضلًا عما بين العنوانين من التقابل المعنوي الذي يتعانق مع الموقف النفسي والفكري للأديبين مما يبرز المفارقة الحادة الشاسعة بين فكر يعتنق الإيمان ويتحقق به تحققًا كاملًا مذهبًا، وسلوكًا، وغاية، وفكر مضادٍ للإيمان، يحاول التّنصل من ربقته مذهبًا وغاية، وانحرافًا في السلوك، وشذوذًا عن فطرة الإيمان المبثوثة في النفس الإنسانية، والتكوين الفطري لكل ما في الكون، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة:٢١٣].

(١) أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، (ص١٩٠)، ط٨، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ثانيًا: المقدمة:

هي المدخل الذي يستقطب اهتمام القارئ، ويوظف الأديب فيها عناصر الإثارة والتشويق، «إذ إن القارئ – وهو المقصود في كل عمل أدبي – لن يقبل علىٰ قراءتها بلذة ونهم إلا إذا طالعته بادئ ذي بدء بصورة جذابة مشوقة، مجلوّة بأسلوب طبيعي سلس، هو أسلوب المسامرة والحديث العادي، وبفكرة طريفة متألقة، تسترعي عنايته وتجتذبه إليها بقوة وإغراء»(١).

فالمقدمة يقدم فيها الكاتب للقارئ خلاصة للموضوع، وتمهيدًا له «حتىٰ تتهيأ النفوس لتقبله، ويجب أن تكون موجزة وفيها جدة، وتلائم موضوعها كيفًا وكمًّا»(٢).

والمقدمة التي قدّمها الدكتور أحمد زكي أبو شادي لمقالة: «لماذا أنا مؤمن؟»، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوع المقالة، حيث بدأها الكاتب ببيان غايته من هذا المقال وهي: الردّ علىٰ الدكتور إسماعيل أدهم في مقاله: «لماذا أنا ملحد؟» الذي يعدّ رفضًا وانتقادًا لرسالة «عقيدة الألوهية»، وهي الحلقة الثانية من بحوث «أبي شادي» الإسلامية الفلسفية.

– تضمنت المقدمة السبب الذي دفع الدكتور «أحمد زكي» للردّ علىٰ «د. أدهم» وهو: كثرة انتقاده لأبي شادي في مجلتي: الإمام، وأدبي وفي غيرهما، وكثرة مراسلته له ومحادثته إياه في هذا الموضوع، فجاء مقال: «لماذا أنا مؤمن؟» بمثابة ردٍّ علىٰ آراء د.أدهم إلىٰ جانب كونه إلمامة عامة بآرائه الدينية وتبيانًا صريحًا لأسباب إيمان

---

(١) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٢٦)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٤، الفنون الأدبية، (١)، الجامعة الأمريكية.

(٢) المقال وتطوره في الأدب المعاصر، د. السيد مرسي أبو ذكرىٰ، (ص٧١)، دار المعارف، ١٩٨٢م.

الكاتب(١).

- اشتملت المقدمة علىٰ شكر أبي شادي لصديقه «مصطفىٰ السحرتي» رئيس تحرير «الإمام» ورعايته لحرية الفكر، ولو جاء ما ينشره ضد آرائه وآراء خاصة أصدقائه «يعني نفسه»، فقد كانت صداقته لأبي شادي من أكرم الصداقات التي عرفت بين الأدباء، كانت هذه الصداقة مضرب المثل في المحبة والوفاء، وفي ذلك يقول السحرتي: «كانت صداقتنا صداقة نقية عاملة، صداقة فكرية وروحية معًا»(٢).

- وتتجلىٰ الروح الإسلامية في أدب الحوار والمناظرة في توجيه الكاتب الشكر للدكتور أدهم علىٰ صراحته في النقد، بالرغم من مودته للكاتب التي تجلت غير مرة في كتابته الأدبية عنه(٣).

ويحاول الكاتب تهيئة القارئ والناقد معًا بإثارة الانتباه إلىٰ السبب الحقيقي الذي جعل الدكتور إسماعيل أدهم يشن حملته علىٰ الإسلام، وهو: السخط علىٰ بعض شيوخ الإسلام، مع أن الإسلام مستقل في جوهره ونقائه عن تصرفات شيوخه.

وهذا السبب استخلصه الكاتب من خلال نقد د. أدهم لكتاباته وقد انتقد الكاتب موقف شيخ الأزهر الإمام المراغي، وبعض شيوخ الأزهر في موقفهم المتعصب إزاء بعض الآراء.

ويقدم الدكتور أحمد زكي تصوره لخصائص الإسلام العظيمة التي لا يرضيه أن

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، لفيف من المفكرين والعلماء، دراسة وتقديم أ.د. محمد عمارة، (ص٦٨).

(٢) مصطفىٰ عبد اللطيف السحرتي، د. كمال نشأت، (ص١١).

(٣) ينظر كتاب أبو شادي الشاعر، د. إسماعيل أدهم، وإسماعيل أدهم، د. أحمد الهواري، (ص١٩).

تُغمط من أجل تصرفات بعض شيوخه، ذلك أن المسيحية لا تؤاخذ بأخطاء المسيحيين، فإن أخطاء بعض المسلمين كذلك لا تحسب علىٰ الإسلام(١).

ويجمل الكاتب مزايا الإسلام العظيمة فيما يأتي:

١- وراثة الإسلام لحسنات الديانات السابقة وقيامه علىٰ العقل والعلم.

٢- ديمقراطيته المتناهية، يقول عز شأنه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

٣- تخليه عن نظام الكهنوت والقساوسة، (كبيع المغفرة في جلسة الاعتراف أمام القساوسة)(٢)، فدفاع الكاتب عن عقيدته واجب يُمليه ضميره لإنشاء هذه السلسلة من البحوث الإسلامية الحرّة، بل فريضة دينية تُلزمه وقد حمل القلم أكثر من ثلاثين عامًا، وصار في الحلقة الخامسة من عمره، أن يقدم واجب الدفاع محبة لله (ﷻ)، وتقربًا إليه.

ويُفصّل الكاتب ما أجمله عن مزايا الإسلام بالأسلوب الخطابي لإقناع المتلقي بأحقية قضيته: فأما عن وراثة الإسلام لحسنات الديانات السابقة، وقيامه علىٰ العقل والعلم، فقد تجليا في أنضر عصوره بمظهر التسامي الفكري وتقدير الفلاسفة والعلماء والأدباء أيًّا كانت عقائدهم وآراؤهم وبانتفاء التعصب الديني، وقد انقسم المسلمون إلىٰ نقليين وعقليين، وساير الأخيرون الحضارة، وحملوا راية الثقافة، وطعموا الإسلام بالعلم والفلسفة، ونبغ من بينهم أعظم رجال الاجتهاد، وعلىٰ قدر ذلك

---

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، أ.د/ محمد البهي، (ص٧).

(٢) عزيزي الملحد، أ.د/ محمد محمد داود، (ص٢٤٨).

التسامح وحرية الفكر والاجتهاد كانت تنمو عظمة الإسلام الروحية والفكرية بل والمادية أيضًا(١).

فالمقدمة مشوقة تثير اهتمام القارئ، وتدل علىٰ أهمية الموضوع وجلاله، فيما عدا نقد الكاتب لشيوخ الأزهر، وإمامه الشيخ المراغي، ودفاعه الحماسي عن خلاف حزب الوفد ورئيسه «مصطفىٰ النحاس باشا» مع الأزهر حول رغبة الأزهر في إلقاء مسحة إسلامية علىٰ حفل تولي الملك فاروق العرش(٢).

العرض: هو صلب الموضوع، أو الفكرة الرئيسة، وذلك لأن المقال وهو جنس أدبي يجب ألا يخلو عن مقصد يدعو إليه(٣).

والفكرة الرئيسة التي يركز عليها الكاتب في مقالة «لماذا أنا مؤمن؟»: إثبات عقيدة الألوهية، والتعريف باستقلال الإسلام في جوهره ونقائه عن تصرفات بعض شيوخه، والرد علىٰ ما ادعاه د. أدهم بقانون الاحتمال.

---

(١) مقال لماذا أنا مؤمن؟ للدكتور أحمد زكي، ملحق بمجلة أدبي، نقلًا عن كتاب: حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٨، ٧٠).

(٢) محمد مصطفىٰ المراغي: إمام المسلمين في عصره، وحامل لواء الإصلاح في الأزهر تشريعًا وتنفيذًا ومراجعة، ولد في عام ١٨٨٠م، وتأثر بفكر الإمام محمد عبده، وأمضىٰ سنوات عديدة قاضيًا لقضاة السودان، ثم أصبح رئيس المحكمة العليا الشرعية، عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٢٨م، ثم أعيد تعيينه عام ١٩٣٥م، وتوفي سنة ١٩٤٥م. [النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ج١، دار القلم، ص٤١٣ : ٤٣٠].

(٣) فن المقال في الأدب العربي المعاصر، أ.د/ إبراهيم عوضين، (ص٥)، ط٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

واتسم عرض الكاتب لأفكار موضوعه بالعرض المنطقي، وتقديم الأهم علىٰ المهم، وتقديم البراهين العقلية، بما يحقق الإمتاع الفني للمتلقي وإقناعه بالقضية المثارة، «فالوحدة والتماسك والتدرج في الانتقال من خاطرة إلىٰ خاطرة أخرىٰ من الخواطر التي تتجمع حول موضوع المقال، من ألزم ما يلزم في أدب المقالة»(١).

وقد اتضح ذلك في مقالتي: «عقيدة الألوهية»، و«لماذا أنا مؤمن؟»، فالعرض الشائق – الذي يجذب المتلقي، ويحقق الغاية الأساسية للمقالة في إثبات عقيدة الألوهية – يتضح في جمع الكاتب بين أدلة العقل، والقلب والفطرة، لإثباتها إثباتًا منطقيًا وصوفيًا، من ذلك: إقرار الكاتب بأن التعليم الطبي يؤدي حتمًا إلىٰ شيء من الصراع مع الدين، وإلىٰ زعزعة الإيمان الديني، بسبب ضعف الإيمان الفطري عند مَنْ يفشلون بالتوفيق بين العلم والدين، ما دام الدين ظاهرة اجتماعية كائنة فعلًا .. وأنه قد تصدىٰ لهذه المهمة بتشجيع من أستاذه الجليل المرحوم السيد محمد رشيد رضا(٢)، الذي كان يكاتبه ويكاتب مجلة «المنار» حتىٰ إبان إقامته في إنجلترا.

فشأن الكاتب في الدفاع عن عقيدته كشأن الجندي الشجاع الذي يجد الصفوف قد افتقدت الرائد فيتطوع مندفعًا للقيام بتلك المهمة، فغيرته الفطرية تزجيه،

---

(١) علىٰ هامش الأدب والنقد، علي أدهم، (ص٢٠٤)، دار المعارف، ١٩٧٩م.

(٢) الإمام الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢- ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥- ١٩٣٥م): رأس تلامذة الإمام محمد عبده، وصاحب (المنار) الذي حمل فكر هذه المدرسة إلىٰ مختلف أرجاء العالم الإسلامي علىٰ امتداد أربعين عامًا. يراجع: النهضة الإسلامية، (ص٢٣٥: ٢٥٠)، ج١، مرجع سابق.

وشجاعته تسنده، وإيمانه بعقيدته هو ما دفعه للإشادة بها وآثارها سنوات طويلة، فلقد عشق الفلك، وتردد على المراصد، لأنه وجد في ذلك عبادة صوفية، واستغراقًا في معاني الألوهية.

وينتقل الكاتب من الخاص إلى العام لعرض الفكرة الرئيسة وتأييدها بالبراهين، حيث لخص أحدث الآراء الفلسفية اللاهوتية التي تدل على أن الإيمان بالله يتمشى مع العلم، وليس سليل الوهم أو الجهل أو الخرافة، فالطبيعة والدنيا – التي هي موضوع العلم إنما تدل على الألوهية، فالأسباب الثانوية إنما تدل على السبب الأول، والنظام الكوني يدل على العقل غير المحدود، والجمال في العالم يشير إلى الروح الأعلى(١). هذه هي أهم الأفكار التي تناولها الكاتب في مقالته: (عقيدة الألوهية).

أما مقالته: «لماذا أنا مؤمن؟»، فالكاتب ينتقل في عرض أفكار موضوعه من الخاص إلى العام، ومن العام إلى الخاص؛ لجذب القارئ وتشويقه وإقناعه بالفكرة الرئيسة، مما ينم عن سعة ثقافته وعمق اطلاعه، كما يدل على صحة ما يؤيده من ذلك قوله: «الشعور بالألوهية ... ليس مسألة خوف وجهل على ما يرى بعض المفكرين الغربيين، بل هي مسألة فطرية سيكولوجية مبعثها إحساس الجزء بالكل، وهل نحن في المعنى التصوفي إلا أبناء الله»(٢).

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٢٩: ٣٧).

(٢) السابق (ص٤٤).

ففي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين، فحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»(١).

ويناقش الدكتور أحمد زكي ما شاع في علم مقارنة الأديان، من أن الدين مرجعه في كثير من الأحوال إلىٰ الوراثة الإنسانية، وأنه نشأ بدافع الخوف والرهبة من الطبيعة لدىٰ الإنسان البدائي(٢).

مما يؤكد أنه لا يمكن التخلي في النفس البشرية عن عقيدة، فالإنسان يشعر بحاجة عميقة إلىٰ قوة أكبر منه تحميه وتمنعه مما يواجه من أخطار، فبدون الإيمان لن يشعر الإنسان؛ والإنسان الحساس – علىٰ وجه الخصوص – بتوحده وأمنه النفسي، فالشعور «بوجود إله يتصرف في الأكوان تصرفًا غيبيًا فوق تصرف المخلوقات بما يكون من إفضاء الأسباب إلىٰ المسببات، قد عرف في جميع البشر، ... ومثل هذا الاتفاق بين الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي في جميع الأزمان، من غير تواطؤ ولا تقليد ولا تلقين ولا تعليم، لا يعقل إلا أنه فطري في البشر»(٣).

أما النظرية التي يحبذها الكاتب فهي: أن الإحساس بالألوهية إحساس

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف في بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج٤، (ص٢١٩٧)، رقم (٢٨٦٥)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسىٰ الحلبي عام ١٩٥٥م.

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٠)، وقصة الأدب في العالم، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ج١، (ص١٢٣، ١٢٤)، ط٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.

(٣) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، (ص٥١٣)، تحقيق أ.د/ محمد عمارة، دار الشروق ٢٠٠٨م.

فطري شبه غريزي، وهو انجذاب الجزء نحو الكل، وقد أشار الدكتور أدهم نفسه إلىٰ ذلك في دراسته الإنجليزية عن الكاتب، وفي هذا إلزام للخصم بالحجة والتقرير لموقفه المتناقض مع ما أقرّ به سابقًا.

ويسوق أبو شادي الأدلة علىٰ صحة رأيه، وأن الإحساس بالألوهية فطري في الإنسان: «من حيث إننا ذرات كهربائية في كون مكهرب من أوله إلىٰ آخره، فالتجاوب بين أجزائه مستمر بصور شتىٰ، ولكن يشملها جميعًا شعور التوحد، وهذا الشعور الصوفي هو أساس «عقيدة الألوهية»(١).

فالكاتب بذلك يؤكد قانون السببية، وأن الكون نظام دقيق من الذرة إلىٰ المجرة، وهو كتاب مقروء في نظريات العلماء وقوانينهم الفيزيائية، فوجود الله قائم بالعقل، وقائم علىٰ أسس فطرية ووجدانية أقرّها الفلاسفة في نظرياتهم، ويقرها كل إنسان يتدبر في النظام والإبداع الكوني الدقيق(٢).

وبذلك يتضح أن الإلحاد مرض اجتماعي ونفسي؛ لأن الملحد لو نظر بعينه، وتأمل بعقله لأقرّ بالمسلمات الحسية العقلية، ولأقام الفرضية وأسقط المصادفة، فالتجاوب بين الإنسان والكون إنما هو اتفاق في الغاية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

والمنشأ: فالكون مخلوق مسخر للإنسان؛ المخلوق المسبوق بعدم، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧١)، وعن كون الإنسان ذرّة بالنسبة للكون الفسيح، يراجع: حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفىٰ محمود، (ص٦٠).

(٢) يراجع: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، أ.د/ يحيىٰ هاشم فرغل، (ص١٢، ٦٣، ٦٤)، تقديم: أ.د/ نظير محمد عياد، هدية مجلة الأزهر، صفر ١٤٤٦ هـ.

﴿ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

وينقد الكاتب موقف المعلمين المسلمين في تآليفهم المدرسية في التدليل علىٰ وجود الله بأن لكل شيء صانعًا، ما ينتهي بنا إلىٰ سؤال كفري عن الصانع نفسه، ويقدم الأمثلة علىٰ ذلك فيقول: «لنأخذ علىٰ سبيل المثال ما يتعلمه التلاميذ في المدارس، فقد قرأت لمؤلفين فاضلين هذه السطور: «إذا نظرنا إلىٰ الملابس التي نلبسها والمساكن التي نسكنها وجميع الأدوات التي نستعملها وجدنا أن لها صناعًا صنعوها علىٰ الأشكال التي نراها بها، كذلك السموات والأرض والكواكب والأنهار والهواء والماء وجميع المخلوقات لم توجد بطبيعتها، بل لابد لها من مُوجد أوجدها وجعلها بهذا النظام البديع، وصانعها لابد أن يكون قادرًا، هو الله ﷻ»(١).

ويرىٰ أن هذا تعريف تقليدي خاطئ يرجع إلىٰ التفسير الحرفي بدل التفسير الرمزي، فالثابت علميًا أن العالم كائن دوري وأنه أزلي في مادته لا في صوره، وليس ثمة شيء كائن من العدم.

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الكاتب وجهة نظر يتحفظ عليها الفكر الإسلامي فالعالم مخلوق حادثٍ وليس أزليًا يقول (سبحانه): ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، والكاتب يبرر وجهة نظره بقول الله (ﷻ): ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، وأنه لا يليق أن يقال عنه جلّ شأنه: أنه أخذ يفكر ثم خلق العالم من لا شيء إذ معنىٰ هذا أنه مضىٰ عليه وقت كان وحيدًا مترددًا في خلق العالم، والأليق من كل هذا أن نلجأ إلىٰ التفسير العلمي للألوهة، الذي يتمشىٰ مع أزلية الكون ويحتضن

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٤٨، ٧١).

الآية الشريفة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥]، وما ذكره الكاتب لا ينهض دليلًا علىٰ أزلية الكون يقول (جل شأنه): ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

ويشرح أبو شادي ذلك بقوله: «ولو أن ناشئتنا لقنوا أنه لا يوجد أمامهم أي شيء يستطيع الاستقلال بذاته، وأننا جميعًا أجزاء من شيء أكبر، وأن مجموع الوجود هو الرمز المشهود للألوهية المنظمة الحكيمة حسب سنن دقيقة خالدة، وأننا بفطرتنا نشعر بالحنين والابتهال إليها لاطمئناننا إلىٰ العدل الإلهي الدائم سواء أكان سريعًا أم بطيئًا، مباشرًا أم غير مباشر، وأننا ذرات كهربائية صغيرة من هذه الكهربائية العظمىٰ المسيطرة، لفهموا ماديًا، وبأسلوب صادق معنىٰ الألوهية بما يتفق وروح الإسلام المتجلية في مثل هاتين الآيتين الشريفتين، بدل التعلق بمعان آدمية تعالىٰ الله عنها»(١).

فالكاتب في تعليله لعقيدة الألوهية وإثبات وجودها يستخدم اللغة الصوفية، والرمز الإشاري لآيات القرآن الكريم، ليصل إلىٰ تأكيد حقيقة ارتباط النفس البشرية بالخالق (ﷻ) فالإنسان ما هو إلا ذرّة صغيرة في ذرات الكون التي تدور دورتها في عبادة الخالق المهيمن والاتجاه إليه والتعلق به، ومن ثم يحدونا إلىٰ قانون المسلمات الفطرية(٢)، يقول سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٢).

(٢) محاضرة دينية بعنوان: «الإلحاد في مواجهة المسلمات»، أ.د/ محمد عبد الدايم الجندي، ينظمها مجمع البحوث الإسلامية عبر تقنية التلجرام سلسلة بعنوان: «معًا لمواجهة الإلحاد»، بتاريخ ٢٣/ ١/ ٢٠٢٥م.

وكل إنسان يشعر بضعفه في وقت الخطر ويلجأ إلىٰ الله الخالق بنداء الفطرة: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

والله (سبحانه) لا يخشىٰ النقد، بل يُقيم الحجة علىٰ المعاندين بالإقرار وإعمال الفكر والعقل بالمسلمات العقلية الحسية المنطقية: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل:٦٠-٦٤].

ويبدو حسن التخلص في عرض الفكرة والانتقال من شرح الكاتب لمفهوم «عقيدة الألوهية»، ونقده لما ادّعاه الدكتور إسماعيل أدهم، بقانون الاحتمال والإلحاد – بأن الدكتور أدهم نفسه يشعر في ذاته بهذا الشعور، «وأننا بفطرتنا نشعر بالحنين والابتهال إلىٰ الألوهة المنظمة الحكيمة، لاطمئناننا إلىٰ العدل الإلهي الدائم، ... ولكنه يدع هذا جانبًا ويتشبث بنقض الأوهام الشائعة وإزاءها يؤثر أن يسمي نفسه ملحدًا علىٰ أن يكون مؤمنًا غير معقول ولا عاقل»(١).

ذلك أن الإيمان بالله يقوم علىٰ اليقين العلمي والعقلي، بينما الإلحاد يقوم علىٰ

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٢).

الوهم، بتبني فكرة العدمية، وأن الكون وُجد بالصُّدفة، وهو ما لا يقرّه عقل أو علم(١)، والقرآن الكريم يناقش هؤلاء المارقين عن عرىٰ الإيمان بقوله (سبحانه): ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]، ويقول (عز شأنه): ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور:٤٣]، فهذا الاستفهام الإنكاري قصد به: التقرير وإقامة الحجة علىٰ الملحدين بعد كل هذه الدلائل التي لا يستطيعها مخلوق، بل حكيم مدبر قادر خالق جل وعلا.

ومن باب الإنصاف يورد الدكتور أبو شادي نص الدكتور إسماعيل أدهم كاملًا بما ادّعاه «قانون الاحتمال» حتىٰ لا يظن القارئ أن الكاتب يتقول عليه؛ يقول إسماعيل أدهم:

«إن العالم الخارجي – عالم الحادثات – يخضع لقوانين الاحتمال Probability – فالسنة الطبيعية لا تخرج عن كونها إشمال القيمة التقديرية التي يخلص بها الباحث من حادثة علىٰ ما يماثلها من الحوادث، والسببية العلمية لا تخرج في صميمها عن أنها وصف لمجرىٰ سلوك الحوادث وصلاتها بعضها ببعض، وقد نجحنا في ساحة الفيزيقا – الطبيعيات – في أن نثبت أن (B) إذا كانت نتيجة Effect للسبب (A Cause) فإن معنىٰ ذلك أن هنالك علاقة بين الحادثتين (B) و(A)، ويحتمل أن تحدث هذه العلاقة بين (B) و(C) وبينها وبين (D) و(E) فكأنه يحتمل أن تكون (B) نتيجة للحادثة (A) وقتًا للحادثة (C) وقتًا آخر، وللحادثة (D) حينًا وللحادثة (E) حينًا آخر، والذي نخرج به من ذلك أن العلاقة بين ما نطلق عليه

(١) حقائق الإيمان وأوهام الإلحاد، محاضرة دينية، أد/ محمد محمد داود، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، بتاريخ ١٣/ ٢/ ٢٠٢٥م.

اصطلاح السبب وبين ما نطلق عليه اصطلاح النتيجة تخضع لسنن الاحتمال المحضة التي هي أساس الفكر العلمي الحديث ... فإذا كان كل ما في العالم يخضع لقانون الاحتمال فإني أمضي بهذا الرأي إلىٰ نهايته وأقرر أن العالم يخضع لقانون الصدفة.

ولكن ما معنى الصدفة والتصادف؟

يقول هنري بوانكارية [1] في أول الباب الرابع من كتابه: (Science et method) في صدد كلامه عن الصدفة والتصادف: «إن الصدفة تخفي جهلنا بالأسباب، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب».

والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكارية في اعتقاده ... وهذا المعنىٰ لا تأتيني الألفاظ العادية للتعبير عنه لأن هذه الألفاظ ارتبطت بمفهوم السبب والنتيجة، ولهذا سنحاول أن نحدد المعنىٰ عن طريق ضرب الأمثلة لنفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة، ومعلوم أن لكل زهرة ستة أوجه، فلنرمز لكل وجه بالرمز الآتي في كل من الزهرين:

يك: دو: ثه: جهار: بنج: شيش.

ل١: ل٢: ل٣: ل٤: ل٥: ل٦ في زهر النرد الأول.

ك١: ك٢: ك٣: ك٤: ك٥: ك٦ في زهر النرد الثاني.

وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتمل مجيئه إذا رمينا زهر النرد، فإن مبلغ

---

(١) بوانكارية هنري جول (١٨٥٤- ١٩١٢م): عالم فرنسي شغل أستاذ كرسي الفيزياء الرياضية وحساب الاحتمالات، ونال عضوية أكاديمية العلوم والأكاديمية الفرنسية ومن أعماله: «دروس في الفيزياء»، و«العلم والفرضية»، وقيمة العلم، و«العلم والمنهج»، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهويتون، المتصوفون»، لجورج طرابيشي، (ص١٩٣)، ط٣، دار الطليعة، بيروت.

الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنىٰ الصدفة التي نبحثها ... وكلما عظم مقدار (س) في المعادلة (ن+ س) تحدد مقدار (ح) أي النسبة الاحتمالية، وذلك خضوعًا لقانون الأعداد العظمىٰ في حسابات الاحتمال، ومعنىٰ ذلك أن قانون الصدفة يسري في المقادير الكبيرة (...).

ومعنىٰ هذا أن السببية صلة إمكان بين شيئين يخضعان لقانون العدد الأعظم الصدفي ...

إذًا يمكننا أن نقول: إن الصدفة التي تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطي حالات إمكان، ولما كان العالم لا يخرج عن مجموعة من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض في وحدات وتتداخل وتتناسق ثم تنحل وتتباعد لتعود من جديد لتنتظم ... وهكذا خاضعة في حركتها هذه لحالات الإمكان التي يحددها قانون العدد الأعظم الصدفي، ومثل العالم في ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف وقد أخذت هذه الحركة والاصطدام فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل هكذا في دورة لا نهائية، فلا شك أنه في دورة من هذه الدورات اللانهائية لابد أن يخرج هذا المقال الذي تلوته الآن، كما أنه في دورة أخرىٰ من دورات اللانهائية لابد أن يخرج كتاب (أصل الأنواع) وكذا (القرآن) مجموعًا منضدًا مصححًا من نفسه، ويمكننا إذن أن نتصور أن جميع المؤلفات التي وضعت ستأخذ دورها في الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان في اللانهائية، فإذا اعتبرنا (ح) رمزًا لحالة الاحتمال و(ص) رمزًا للانهائية كانت المعادلة الدالة علىٰ هذه الحالات: ح= ص، وعالمنا لا يخرج عن كونه كتابًا من هذه الكتب، له وحدته ونظامه وتنضيده، إلا أنه تابع لقانون الصدفة الشاملة.

يقول ألبرت أينتشتين[١] صاحب نظرية النسبية في بحث قديم له: «مثلنا إزاء العالم مثل رجل أتىٰ بكتاب قيّم لا يعرف عنه شيئًا، فلما أخذ في مطالعته وتدرج من ذلك لدرسه وبان له ما فيه من أوجه التناسق الفكري شعر بأن وراء كلمات الكتاب شيئًا غامضًا لا يصل إلىٰ كنهه، هذا الشيء الغامض الذي عجز عن الوصول إليه هو عقل مؤلفه، فإذا ما ترقىٰ به التفكير عرف أن هذه الآثار نتيجة لعقل إنسان عبقري أبدعه كذلك نحن إزاء العالم، فنحن نشعر بأن وراء نظامه شيئًا غامضًا لا تصل إلىٰ إدراكه عقولنا، هذا الشيء هو الله»[٢].

ويقول السير جيمس جينز الفلكي الإنجليزي الشهير[٣]: «إن صيغة المعادلة التي توحد الكون هي الحد الذي تشترك فيه كل الموجودات، ولما كانت الرياضيات منسجمة مع طبيعة الكون كانت لبابه، ولما كانت الرياضيات تفسر تصرفات الحوادث التي تقع في الكون وتربطها في وحدة عقلية فهذا التفسير والربط لا يحمل إلا علىٰ أن طبيعة الأشياء رياضية، ومن أجل هذا لا مندوحة لنا أن نبحث عن عقل رياضي يتقن

---

(١) آينشتاين ألبرت (١٨٧٩- ١٩٥٥م): فيزيائي أميريكي من أصل ألماني، نشر في عام ١٩٠٥م حوليات الفيزياء، وضمنها مباحثه الأولىٰ في نظرية الكوانتا ونظرية النسبية والحركات البراونية، ثم جاءت صياغته في عام ١٩١٤م لنظرية النسبية العامة لتشمل الكون المتحرك بأسره، وكان يقول: «يستطيع البحث العلمي أن يقلص نطاق الاعتقادات الباطلة، بتشجيعه الاستدلال والاستكشاف السببي. (معجم الفلاسفة)، إعداد: جورج طرابيشي، (ص١٣).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٣: ٧٧).

(٣) السير جيمس جينز (١٨٧٧- ١٩٤٦م): عالم رياضة وفيزيقا وفلك بريطاني، من مؤلفاته: «النظرية الديناميكية للغازات»، و«النظرية الرياضية للكهرباء والمغناطيسية»، و«مسائل في علم الكون وديناميكا النجوم»، و«الكون الغامض»، والكون المحيط بنا».

لغة الرياضة يرجع له هذا الكون، هذا العقل الرياضي الذي نلمس آثاره في الكون هو «الله».

وأنت ترىٰ أن كليهما والأول من أساطين الرياضيات في العالم والثاني فلكي ورياضي من القدر الأول عجز عن تصور حالة الاحتمال الخاضعة لقانون الصدفة الشاملة والتي يتبع دستورها العالم، لا لشيء إلا لتغلب فكرة السبب والنتيجة عليهما...، ومن هنا يتضح أن السير جينز انساق تحت فكرة السبب والنتيجة كما انساق آينتشتين إلىٰ التماس الناحية الرياضية في العالم، وهذا خطأ لأن العالم إن كان نظام ما هو واقع خاضعًا لنظام ما هو ممكن فهو حالة احتمال من عدة حالات والذي يحدد احتماله قانون الصدفة الشامل لا السبب الأول الشامل.

إن الصعوبة التي أرىٰ الكثيرين يواجهونني بها حينما أدعوهم إلىٰ النظر للعالم مستقلًا عن صلة السبب والنتيجة، وخاضعًا لقانون الصدفة الشامل ترد إلىٰ قسمين: الأول: لأن مفهوم هذا الكلام رياضي صرف ومن الصعب التعبير عنه في غير أسلوبه الرياضي، وليس كل إنسان رياضي عنده القدرة علىٰ السير في البرهان الرياضي.

الثاني: أن الاحتمالات تعطي العالم مفهومًا جديدًا وتجعلنا ننظر إليه نظرة جديدة غير التي ألفناها، ومن هنا جاءت صعوبة تصور مفهوماتها لأن التغير الحادث أساسي يتناول أسس التصور نفسه، ولهذه الأسباب وحدها كانت الصعوبة قائمة أمام هذه النظرية الجديدة ومانعة الكثيرين الإيمان بها.

أما أنا شخصيًا فلا أجد هذه النظرية الصعوبات إلا شكلية، والزمن وحده قادر علىٰ إزالتها، ومن هنا لا أجد بدًّا من الثبات علىٰ عقيدتي العلمية والدعوة إلىٰ نظريتي القائمة علىٰ قانون الصدفة الشامل الذي يعتبر في الوقت نفسه أكبر ضربة للذين

يؤمنون بوجود الله»(١).

وواضح من خلال هذا النص الذي نقله أبو شادي – أنه أراد الاقتصار في نقده لمقال إسماعيل أدهم – علىٰ «قانون الاحتمال» فحسب، فلم يتعرض لدوافع إسماعيل أدهم الإلحادية، والعوامل النفسية التي ذكرها أدهم في مقدمة مقاله من أن أباه كان متعجرفًا وذا بطش، كما كان زوج عمته يجبره علىٰ القيام بالطقوس الدينية، وأن والدته كانت نصرانية، وتابعها أختاه في دينها، وكانتا – في نفس الوقت – تسخران مما في الكتاب المقدس من حديث عن المعجزات ويوم القيامة، مما دفعه إلىٰ الانبهار بالعلم والفكر الماركسي(٢).

وهذا يدل علىٰ التزام الكاتب في نقده بالحيدة والموضوعية، حيث ركز علىٰ نقد الفكر لا الشخص نفسه، إذ يكفل الإسلام حرية الاعتقاد لكل إنسان ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، ويقول تعالىٰ شأنه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾[البقرة:٢٦٥].

فالنشأة المتناقضة كانت من أسباب إلحاد الدكتور أدهم، مما يدل علىٰ أن الإلحاد مرض نفسي واجتماعي.

– كما ركّز أبو شادي في نقده لمقال إسماعيل أدهم علىٰ نفي ما ادّعاه من أن أصل فكرة الله (عقيدة الألوهة) تطورت من حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية، وأن معرفتنا بأصل فكرة الله

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٦).

(٢) وهم الإلحاد، أ.د/ عمرو شريف، (ص١٢٨).

تذهب بالقدسية التي كنا نخلعها عليها(١)، بأن الدكتور أدهم: لم ينقض بذكائه وتخيله ومعارفه الرياضية شيئًا من عقيدة الألوهة القائمة علىٰ إحساس الجذبي من الجزء نحو الكل، فهي ذات أساس علمي صادق، كما أنها في حكم الغريزة النفسية(٢).

فالكاتب يراعي الأولويات في عرضه فيقدم الأهم علىٰ المهم في ترتيب عناصر موضوعه – أما نقضه لما ادّعاه د.أدهم – بقانون الاحتمال– فيرىٰ أن قانون الاحتمال إذا طبّق تطبيقًا لا نهائيًا فإنه لا يعدو حدّ النظريات المسرفة، أي من قبيل السفسطة الكلامية فحسب، ولا أساس لها في التطبيق، إذ إن تنضيد القرآن الكريم أو أي كتاب مقدس من تلقاء ذاته، كما يدّعي الناقد أمر نظري محض في حكم المستحيل عمليًا بالنسبة للإنسان؛ لأنه مما يدخل في حسابات البلايين البعيدة التحقق، ومثال ذلك: أن العالم متناه في حساب أينشتين، ولكنه عمليًا غير متناه لاستحالة الإلمام الإنساني به حسيًا، فالافتراض الذي يفترضه لا يذهب بمنزلة القرآن الكريم ولا بأي كتاب مقدس، إذ من السهل أن يجيبه أي مسلم بأن قانون الاحتمال في ذاته هو من السنن الإلهية، فلو نشأ القرآن الكريم أو الكتاب المقدس بموجب هذا القانون لما تعدىٰ أن يكون وحيًا إلهيًا بوسيلة طبيعية، وليس لسيطرة قانون الاحتمال علىٰ العالم ما يعني وجود الفوضىٰ فيه، إذ إن اتساع تطبيقه اتساعًا هائلًا يؤدي حتمًا إلىٰ نظم معينة، وهو المشهود عمليًا في الوجود كما يثبت علم الفلك ذلك، ثم إن قانون الاحتمال يحتاج في تطبيقه إلىٰ عوامل وهذا ما أغفله الدكتور أدهم(٣).

ويؤيد أبو شادي رأيه بالأدلة والبراهين المنطقية التي تؤدي إلىٰ اقتناع القارئ بقوله: «فظهور القرآن الكريم في تواريخ معينة، ولأسباب معينة، وفي صور عقلية

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٩).

(٢) السابق (ص٨١).

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨٠).

معينة، عوامل تؤثر في قانون الاحتمال ولا تتأثر به، بمعنىٰ أنها ترضخه أو تتفاداه في الزمن والتكييف، مع أنه لو كان جاريًا نظريًا علىٰ حسب رأي حضرته لجاز أن لا يظهر الكتاب الشريف إلا بعد ملايين السنين المقبلة، وكل نظري محض قائم علىٰ فروض حسابية لا تقع عمليًا هو في حكم اللغو أو السفسطة المنطقية بالنسبة للإنسان ولو كان صوابًا من الوجهة الرياضية الكونية، إذ إنه محال في عالم الواقع المحسوس بالنسبة للكرة الأرضية، وهذا ما يخص الدين، وعلىٰ هذا نرىٰ أن الدكتور أدهم لم ينقض بذكائه وتخيله ومعارفه الرياضية شيئًا من عقيدة الألوهة كما لم يمس الإسلام ذاته كدين إنساني لهداية البشر وتنظيم حياتهم»[(١)].

وما توصل إليه أبو شادي من الحكم علىٰ قانون الاحتمال بأنه من قبيل السفسطة المنطقية التي لا أساس لها في التطبيق العملي قرّره العلامة محمد فريد وجدي [(٢)] في

---

(١) السابق، (ص٨٠، ٨١).

(٢) العلامة محمد فريد بن مصطفىٰ وجدي بن علي رشاد (١٢٩٥- ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٨-١٩٥٤م): ولد بالإسكندرية، وأقام زمنًا بدمياط، أتقن اللغة الفرنسية مع إتقانه اللغة العربية، وتبحر في الثقافة الغربية، وكان عصاميًا في تكوينه الثقافي والفكري، إذ انصرف عن التعليم النظامي وهو في المرحلة الثانوية، كانت قضيته الأولىٰ الدفاع عن الإسلام، بالعلم والمنطق العقلي، رادًا علىٰ الفلسفة المادية والوضعية التي غزت العالم الإسلامي في ركاب الاستعمار، فهو أحد رجالات السياسة وزعماء الوطنية، فقد حُبس ستة أشهر في المقدمة التي كتبها لديوان (وطنيتي)، أصدر عددًا من المجلات ... منها مجلة «الحياة» إبان إقامته بدمياط، و«الدستور» والوجدانيات، ومن مؤلفاته: «الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان»، تطبيق الديانة الإسلامية علىٰ النواميس المدنية، كنز العلوم واللغة، مهمة الإسلام في العالم، نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين، الإسلام دين عالم خالد، يراجع: في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، (ص٢٣١)، وقاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكوت، ص٧١٤، ٧١٥، ومحمد فريد، تأليف محمد عطية الإبراشي، (ص٥٧، ٥٨)، مكتبة الأنجلو المصرية.

نقضه لمقال إسماعيل أدهم بمقاله-: «لماذا هو ملحد؟»:

- بأن ما يقرره الدكتور أدهم في النظرية الإلحادية الحساب من عالم الخيال المحض لا من عالم العلم، حمله عليه شدة تهيامه بإبطال العقيدة بالخالق، ولكن تهيام الإنسان بنفي أصل من الأصول، لا يجوز أن يدفع به إلىٰ متاهات يتجرد فيها من كل قوانين المنطق، جريًا وراء هوىٰ من الأهواء النفسانية، وجميع ملاحدة العالم قديمًا وحديثًا بنوا إلحادهم علىٰ أن الكون محكوم بنظام آلي محض، ولذلك ترىٰ كل كائنات الوجود محكمة الصنع.

وإذا تقرر هذا فعلىٰ أيّ أساس استند الدكتور في تخيل أن السبب الأول للوجود هو الخبط المحض، وليس في الوجود ما يمكن من الاستدلال به عليه؟ أليس انفراده بالقول الذي أورده من أقوىٰ أسباب الارتياب فيه، بل القذف به إلىٰ عالم المهملات؟

وهل تصح تسمية الخبط بالقانون؟ بما عبر عنه بقوله: «قانون الصدفة الشامل»، والصدفة تعني اللانظام المحض، والفوضىٰ المجردة من كل قانون وضبط، إن الكاتب قد أكثر من ذكر قوانين الاحتمال، ولكنها عندنا لم تسم بالقوانين إلا لأنها تطبق علىٰ موجودات منتظمة، وقد اكتشفها الفلكي لابلاس[1] للترجيح لا للجزم، ورتبها علىٰ حوادث جارية علىٰ النظم الطبيعية المقررة، لا علىٰ حوادث خيالية لا وجود لها. فكيف يطبق حساب الاحتمال العلمي علىٰ عالم الخبط المحض الذي لا أثر للنظام فيه، ولا قيام لكائن منتظم معه؟ فإن افتراضه سيادة الخبط والاتفاق في

(١) لابلاس- بيرسيمون (١٧٤٩- ١٨٢٧م): فلكي ورياضي فرنسي، اشتهر بفرضيته القائلة: إن أصل النظام الشمسي ضباب سديمي، قام بتحسين نظرية الاحتمالات، وأسهم في تأكيد نظرية الجاذبية.

العالم تنفي وجود أي ضرب من ضروب القوانين فيه(١).

الخاتمة: «وهي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت، فلابد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، واضحة صريحة، ملخصة للعناصر الرئيسة المراد إثباتها، حازمة تدل اقتناع ويقين، لا تحتاج إلىٰ شيء آخر لم يرد في المقالة»(٢).

والخاتمة في المقالة: موجزة تضم شتات الفكرة، وتلخص النتيجة التي استهدفها الكاتب فقد بنىٰ الدكتور أدهم إلحاده المزعوم علىٰ أن قانون الاحتمال هو السائد في الكون، أي أن الكون وما فيه خلق بمحض الصدفة، وإذن فكل أثر فيه حتىٰ القرآن الكريم عرضة لأن يكون أثرًا من آثار هذا القانون، وبهذا تنتفي قدسيته، كما ينتفي وجود قوة مدبرة حكيمة هي قوة الألوهة.

وما ادّعاه الدكتور أدهم – جراءة في استغلال قانون الاحتمال يتهيبها أخبر الناس به(٣)، فعلماء الفلك والأرصاد يبنون آراءهم علىٰ الترجيح لا الجزم، فالقول بالصدفة: ينفي القصد والغائية والإنكار لوجود الله، «والصدفة لم تحدث الكون، ولم يشكل الكون ذاته؛ لأن هذا من المستحيلات المنطقية أن يمارس سبب ما تأثيرًا قبل أن يوجد»(٤).

ونظام التعقيد في كل الأنظمة، والتوازن المحكم الموجود في كل شيء يدل علىٰ

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص١٠٤: ١٠٦).

(٢) فن المقالة، د.محمد يوسف نجم، (ص١٣١).

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١).

(٤) وهم الإلحاد، أ.د. عمرو شريف، (ص٦٤)، «ووجود الله بين الفطرة والدليل»، أ.د. نظير عياد، محاضرة دينية ينظمها مجمع البحوث الإسلامية عبر تقنية التليجرام بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠٢٥م.

وجود خالق حكيم مبدع، فتبني فكرة – العدمية – مبعث انهيار الإلحاد الغربي المعاصر، الذي لا يختلف عما ادّعاه أدهم في مقاله، لأن «العدم لا ينتج حضارة أو إبداعًا، فالعدم لا ينتج إلا عدمًا»(١)، والعالم ما سمي عالمًا إلا لأن الله (سبحانه) أودع فيه دلائل علمية علىٰ وجوده (ﷻ عما يقولون علوًا كبيرًا).

وينقض الدكتور (أبو شادي) مزاعم أدهم – بقوله: «ورأيي أولًا: أن عقيدة الألوهة قائمة علىٰ الإحساس الجذبي من الجزء نحو الكل، فهي ذات أساس علمي صادق، كما أنها في حكم الغريزة النفسية، وأعتقد أن الدكتور أدهم نفسه راضخ لهذا الإحساس وإن لم تعجبه تفاسير عامة الناس للألوهة فإني لم أرَ في حياتي ملحدًا بالمعنىٰ الشائع، حتىٰ مَنْ يدّعون ذلك نجد أن لهم إيمانهم الخاص»(٢).

فالكاتب هنا يعجب من هذا الإصرار علىٰ رفض الإيمان، ويُعّرض بالدكتور أدهم – في عدم الإحساس الفطري بوجود الله (سبحانه)، وانفراده من بين ملاحدة العالم في ادعائه أن الكون المنتظم أوجده قانون الاحتمال أو الصدفة الشاملة، وتخطئة أساطين الرياضيين في العالم مثل: «أينتشتين» الذي شبّه الوجود بكتاب قيم، فكما أن وراء الكتاب القيّم عقل إنسان عبقري أبدعه؛ فإن وراء نظام العالم شيئًا غامضًا لا تصل إلىٰ إدراكه عقولنا، هذا الشيء هو «الله»(٣).

فقد عاب عليه هذا القول، بأن هذا احتمال محض لأن (الكتاب) يصح أن يكون خاضعًا لحالة أخرىٰ ونتيجة لغير العقل، ومثّل لذلك: بالمطبعة وحروفها وإمكان

---

(١) عزيزي الملحد، د. محمد داود، (ص٢١٦).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١).

(٣) حوار الإيمان والإلحاد (ص٧٧).

خروج الكتب خضوعًا لقانون الصدفة الشامل – مما لا يقره عقل إنسان فضلًا عن الدكتور أدهم الذي يحمل أرقىٰ الشهادات، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ويبين أبو شادي أن «قانون الاحتمال عندما يتناول الملايين والبلايين وما هو في حكم اللانهائي تصبح نظرياته لغوًا عمليًا بالنسبة لعمر الإنسانية. مثال ذلك: أن الكون محدود حسب تقدير أينشتين، ولكنه غير محدود من الوجهة العملية لاستحالة إحاطة الإنسان به حسيًا، وكذلك القرآن الكريم أو الكتاب المقدس أو غيرهما من الأسفار الدينية الخالدة، فإنه من الوجهة العملية لا يمكن أن يخرج من تلقاء ذاته بدون تفكير عظيم، وعلىٰ هذا لا ينقض الحساب الرياضي (الذي أشار إليه الدكتور أدهم) مكانته، يضاف إلىٰ هذا أن قانون الاحتمال في ذاته هو من النواميس الطبيعية التي لها مكانتها في تكييف الوجود تكييفًا منظمًا لا تكييفًا قائمًا علىٰ الفوضىٰ، والدليل علىٰ ذلك النتائج العملية المشهودة والمراقبة فلكيًا.

وبعبارة أخرىٰ: إن اتساع مدىٰ قانون الاحتمال يعطيه تنظيمًا هو الملحوظ في تنظيم العالم، وعلىٰ هذا لا محل لتوهم الفوضىٰ التي تجعلنا نصغر عقيدة الألوهة وكل ما يمت إليها بسبب، ومن الواجب أن نتذكر أن حقائق الاحتمال الرياضي اللانهائي هي صادقة نظريًا بالنسبة للكون لا بالنسبة للإنسان ذاته أو بالنسبة للكرة الأرضية، وهذا وحده ما يهمّ الأديان البشرية التي تتمسك بالإنسانيات العملية وحدها، وبناء علىٰ هذا

فإن مقال الدكتور أدهم عن الإلحاد وعقيدة الألوهة لم يزد مثلي إلا تمسكًا بإيمانه»[(١)].

فالخاتمة: نتيجة طبيعية لما سبق بيانه في المقدمة والعرض، واتسمت بالوضوح والإيجاز؛ من غير إخلال بالهدف من المقالة، وتؤدي إلىٰ إمتاع القارئ وإقناعه بضرب الأمثلة والبراهين العقلية التي نقضت قانون الاحتمال، أو الصدفة، ولم يُضرب المؤمنين بالله ولم يتزعزع إيمانهم كما زعم إسماعيل أدهم بأن هذا القانون: يعتبر أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله – وهيهات والإيمان راسخ في القلوب، أما مَنْ يجادل في الله بغير علم فقد أخبرنا الله سبحانه عن سوء مصيره في الدنيا والآخرة بقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الحج:٨-١٠].

كما استطاع الكاتب إقناعنا بعقيدة الألوهة وأنها قائمة علىٰ الإحساس الفطري من الجزء نحو الكل، وإقرار الفلاسفة بوجود الله مع عجز العقل عن إدراك كنهه، ورضوخ الدكتور أدهم لهذا الإحساس وإن لم تعجبه تفاسير هؤلاء. وأن القرآن العظيم لا يمكن أن يخرج إلىٰ الوجود من تلقاء نفسه بمحض الصدفة.

بل إن قانون الاحتمال نفسه يعدّ من النواميس الطبيعية التي تنظم الوجود تنظيمًا بعيدًا عن الفوضىٰ، والدليل علىٰ ذلك نتائج الأرصاد والمراقبة فلكيًا، وإن صدقت بالنسبة للكون فلا تصح بالنسبة للإنسان لأنها فروض نظرية لا يمكن تطبيقها عمليًا علىٰ الإنسان.

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١، ٨٢).

ثانيًا: البناء الفني لمقالة «لماذا أنا ملحد؟»

١- العنوان:

بصيغته الإنشائية رسالة حضّ، ودعوة حثيثة إلىٰ الإلحاد، فضلًا عما يتضمنه ضمير المتكلم «أنا» من الشعور الطاغي بالفخر والاعتزاز بتلك الرابطة المتوهمة بأن صاحبها علىٰ شيء، مما يتنافىٰ مع مصيره المحتوم بتعجله الموت بانتحاره غرقًا، رغم الزعم بأنه يمتلك سعادة روحية لا تفترق عن سعادة المؤمنين الصوفيين!!

وقد ذيّل الكاتب العنوان بأبيات شعرية تدل علىٰ الدافع الذي دفعه لكتابة مقالته، وينتقد فيها – الدكتور أحمد زكي أبا شادي عن رسالته التي بعنوان: «عقيدة الألوهة»، ويتهمه فيها بالجهل بالطبيعة، ووضعه نفسه في مقام التعليل بما لا يعرف، وأنه أثبت وجود الإله ليستعين به علىٰ حلّ المشكلات، فكان أكبر مشكل (تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا)، بهذا الأسلوب المتجهم والمستهجن يبدأ إسماعيل أدهم مقالته الإلحادية، بما يتوافق مع سلوكه واعتقاده في الاستعلاء بالباطل، والتشبث بالزيف، وقلب الحقائق.

ومما يبين الفارق الشاسع بينه وبين الدكتور أبي شادي، في حسن الخطاب، فكثيرًا ما تكرر: حضرة ناقدي، حضرته، الدكتور أدهم، ومناقشته آراءه في حيدة وموضوعية وصبر وأناة، والإلحاح علىٰ إقناعه بالفكر الصحيح، بضرب الأمثلة من أقوال الفلاسفة المؤيدين لعقيدة الألوهة، وشرح قانون الاحتمال الذي ذهب إليه أدهم في حدود ما يصح وما لا يجوز، يقول الدكتور أدهم[1]:

لما جهلْتَ من الطبيعة أمرها ... وجعلتَ نفسكَ في مقام معللِ

(١) نشر هذا المقال بمجلة «الإمام» عدد أغسطس ١٩٣٧م بالقاهرة.

أثبـــتّ ربَّـــا تبتغـــي حـــلًّا بـــه للمشـــكلاتِ فكـــان أكبـــر مشـــكلِ

٢- المقدمة:

اشتملت علىٰ ترجمة لحياته، وعوامل التناقض والاضطراب في تربيته ما بين أختين نصرانيتين، وأب متعصب لإسلامه، وزوج عمة يجبره علىٰ حفظ القرآن وأداء الصلوات قسرًا، ولعل هذا من أقوىٰ الدوافع لإلحاده، ثم تأثره «بداروِن» في نظريته: التطور والارتقاء، وكثيرًا ما قال لوالده: «إني لست بمؤمن، أنا داروني أؤمن بالنشوء والارتقاء»(١)، ويقرر بعد عرض رحلته الدراسية قوله: «وكانت نتيجة هذه الحياة أني خرجت عن الأديان، وتخليت عن كل المعتقدات، وآمنت بالعلم وحده، وبالمنطق العلمي، ولشد ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي أسعد حالًا وأكثر اطمئنانًا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني»(٢).

وتعليله لتمكن هذا الاعتقاد في نفسه بالأوساط الجامعية التي اتصل بها ودرس فكرته التي توصل إليها من أن الحقيقة اعتبارية محضة وأن مبادئ الرياضيات اعتبارات محضة(٣).

فالمقدمة موجزة تلقي الضوء علىٰ طبيعة الموضوع الذي يعالجه الكاتب، فهي ذات صلة بالفكرة الرئيسة لأسباب توجهه الإلحادي، والمناخ الإلحادي «الماركسي الذي عاشه في موسكو»، حيث يقول: «إن الأسباب التي دعتني للتخلي عن الإيمان كثيرة منها ما هو علمي بحت، ومنها ما هو فلسفي صرف، ومنها ما هو بين بين، ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية، ولكن غايتي هنا أن

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٤).

(٢) السابق، (ص٥٧).

(٣) نفسه (ص٥٧).

أكتفي بذكر السبب العلمي الذي دعاني للتخلي عن فكرة الله وإن كان هذا لا يمنعني من أعود في فرصة أخرىٰ لبقية الأسباب»[١]، وقد عدّ الأديب محمد فريد وجدي هذه الأسباب غير وجيهة فقد اعترف العلماء أن العلم يعجز عن إقامة دليل علىٰ نفي الصانع[٢].

٣- العرض:

وهو صلب الموضوع، أو الفكرة الرئيسة التي يؤديها الكاتب، ويكون العرض منطقيًا مقدمًا الأهم علىٰ المهم، مؤيدًا بالبراهين[٣].

وقد بدأ الكاتب عرض أفكار موضوعه بهذا الاعتراف الذي يدل علىٰ أن الإلحاد كان مجرد فكرة تساوره، ولكنها استولت عليه حتىٰ أصبحت عقيدة، فهو يقول: «فأنا ملحد ونفسي ساكنة لهذا الإلحاد ومرتاحة إليه، فأنا لا أفترق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف في إيمانه، نعم لقد كان إلحادي بدءًا ذي بدء مجرد فكرة تساورني ومع الزمن خضعت لها مشاعري فاستولت عليها وانتهت من كونها فكرة إلىٰ كونها عقيدة»[٤].

وهذا الادعاء باطل ينفيه انتحار الكاتب وضيقه بحياته بسبب الإلحاد.

ثم يعرض الكاتب مفهوم الإلحاد عند زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر، «لود فينج بخنر»، الإلحاد: هو الجحود بالله، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة، ويرىٰ

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٧).

(٢) نفسه، (ص٨٦).

(٣) التحرير الأدبي دراسات نظرية ونماذج تطبيقية، د. حسين علي محمد، (ص١٦٢)، ط٧، ٢٠١١م، مكتبة العبيكان.

(٤) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٨).

أن هذا التعريف سلبي محض، وأن الرأي الأصوب هو أن الإلحاد: وهو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم. وهذا لا يعدو كونه رأيًا، فكيف يكون مجرد الرأي إيمان لا يقبل المناقشة والرفض كسابقه ويستدل الكاتب بقول الفيلسوف عمونوئيل كانط(١):

- أنه لا دليل عقلي أو علمي علىٰ وجود الله، ويصفه بأنه أعظم فلاسفة العصور الحديثة، وأنه واضع الفلسفة الانتقادية.

ومع إقرار الكاتب بأن «كانط» من أعظم فلاسفة العصر الحديث فإنه يجهل تاريخ هذا الفيلسوف، فقد كان من أكبر المؤمنين بالله وبالروح وخلودها من طريق التحليل العلمي، ومن ذلك قوله: «شرع الفيلسوف كَنْت في إصلاح مجموع المعارف الإنسانية، فبدأ عمله علىٰ أسلوب التشكك، وبنىٰ عليه الوصول إلىٰ الحق اليقين بواسطة العقل العملي، والناموس الأدبي، واستنتج من ذلك وجود الخالق وخلود الروح»(٢). فلعل الكاتب اقتضب كلامه فأوهم غير ما يرمي إليه الفيلسوف.

ويستخدم الكاتب أسلوب المنطق الخاطئ فيقول:

«ولكن هل عدم قيام الأدلة علىٰ وجود الله مما يدفع المرء للأدرية؟ الواقع الذي

---

(١) كانط عمانويل: فيلسوف ألماني ولد ومات في كونيغسبرغ (١٧٢٤- ١٨٠٤م)، من أسرة من البورجوازية الصغيرة، كانت أمه من أتباع الحركة التقوية وعلىٰ قدر كبير من الورع، وقد تركت تأثيرًا عميقًا في نفسه، فالتقوية هي ما نلتقيه دومًا في قرارة فكر كانط وشخصيته، وقد تسجل نظريًا في كلية اللاهوت، لكنه وقف نفسه بوجه خاص علىٰ دراسة الفلسفة والطبيعيات، (معجم الفلاسفة)، (ص٥١٣).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، ضمن مقالة: «لماذا هو ملحد؟»، للعلامة محمد فريد وجدي المنشورة بمجلة الأزهر، المجلد الثامن، رجب ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧م، (ص٩٢).

ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة، ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير، ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التي تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية، ونحن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية، ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التي كنا نخلعها عليها»[(١)].

وهذا الرأي يحمل في ثناياه عوامل نقضه وبطلانه: فالعقيدة صحبت الإنسان منذ نشوئه لا منذ ألفي سنة فقط كما زعم، فالإنسان فرد أو جماعة يصعب عليه بل يستحيل أن يظلّ بدون عقيدة، بدون ملاذ يلجأ إليه، وقوة يحتمي بوجودها، فالدين فطرة في النفوس يقول النبي (ﷺ): «كل مولودٌ يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[(٢)]، فلم يقل: يؤسلمانه مما يدل علىٰ أن الفطرة هي دين الإسلام.

وقال: «المنقبون في الحفريات إنهم لم يشاهدوا آثارًا تحت الأرض لجماعة من الجماعات المتغلغلة في القدم تدل علىٰ أنها كانت لا تدين لدين ما، ولكن الأمر علىٰ العكس، فإن كل الآثار التي عثروا عليها تدل علىٰ وجود العقيدة لدىٰ تلك

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٩)، اللاأدرية: مذهب يقول بأن العقل عاجز عن معرفة ماهية الأشياء، ونفيٰ إمكانية حصول المعرفة، وإنكار قيمة العقل وقدرته علىٰ معرفة المطلق، (مصطلحات فلسفية، ١، ص١٣، جامعة محمد الخامس، دار الكتاب).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، (١٣٨٥)، ومسلم (١٢٦٥٨)، وصحيح ابن حبان رقم (١٢٩).

الجماعات»[١].

وأما رأيه في أن مقام فكرة الله لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير، يمكن الرد عليه بما ذكره الدكتور فريد وجدي: بأن العقيدة بالله تقوم علىٰ أقوىٰ البداهات العقلية، وأعظمها سلطانًا علىٰ النفس البشرية، فلو أن كل إنسان سأل نفسه بالفطرة: ماذا أنا؟، وأي شيء أوجدني وأوجد هذا العالم؟ لوجد الجواب العقلي والوجداني: لابد أن يكون قد أوجدني موجد قادر هو نفسه الذي أوجد هذا العالم أيضًا[٢].

وأما قول د. أدهم: إن كل الأدلة التي تقام لأجل إثبات السبب الأول ليس لها قيمة علمية أو عقلية، فهذا مجرد رأيه الشخصي، وينفيه موقف الفلاسفة في العصور السابقة واللاحقة في البحث عن السبب الأول، وموقف العلماء في نظرياتهم وقوانينهم، وإن كان بعضهم يعتقد بأن هذا السبب قادر حكيم، وبعضهم يراه وجودًا ماديًا محضًا. فلم يحتقر أحد هذه الفكرة كما احتقرها حتىٰ يقول:

- إن معرفتنا بأصل فكرة الله تذهب القدسية التي كنا نخلعها عليها، فوجود الله ثابت بالعقل، يقول (تعالىٰ): ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٧]، والعقل يقتضي ألا يضع الإنسان المخلوق نفسه مكان الخالق، فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان، والله هو الذي خلق قانون السببية، فلا يجوز أن نتصوره خاضعًا لقانون السببية الذي خلقه «وعمانويل كانط» أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط بكنه الأشياء وأنه مهيأ بطبيعته لإدراك الجزئيات والظواهر فقط، في حين أنه عاجز عن

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٩٣).

(٢) المرجع السابق، (ص٩٤).

إدراك الماهيات المجردة مثل الوجود الإلهي، وإنما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل، شوقنا إلىٰ العدل كان دليلنا علىٰ وجود العادل، كما أن ظمأنا إلىٰ الماء هو دليلنا علىٰ وجود الماء(١).

فهلّا تدبر الإنسان بعقله حق الإله الخالق وتأدب مع خالقه؛ الذي يعلم السر وأخفىٰ، ويرد علىٰ هؤلاء المضللين بقوله (ﷻ): ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف:٥١]، ويقول تعالىٰ شأنه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور:٤٣].

ويفسر د.أدهم وجود كل ما في الكون بالاحتمالية والصدفة، ويستشهد علىٰ ذلك بمثال حروف المطبعة التي يمكن أن تتراص بالصدفة عقب حدوث انفجار في المطبعة، لتخرج لنا مقالًا أو تخرج لنا القرآن الكريم.

ويرىٰ العلامة محمد فريد وجدي: أن هذا الخبط لا يحتاج إلىٰ ردّ، وأنه إنما ينقل عبارات الكاتب خشية أن يظن ظان أنه يتقول عليه؛ لأن الرسالة التي كتبها د. أدهم تحمل في ثناياها معاول هدمها، ولكنه يخشىٰ أن يتوهم مَنْ لا علم له أن هذا الكلام فيه أثارةٍ من علمٍ، لاسيما وهو يقول: «إنها تعطي العالم مفهومًا جديدًا وتجعلنا ننظر له نظرة جديدة غير التي ألفناها، ومن هنا جاءت صعوبة تصور مفهوماتها، لأن التغير الحادث «أي الذي تحدثه» أساسي يتناول أسس التصور نفسه»(٢).

فالكاتب لا يُخفي تعذر فهم كلامه وأحال ذلك علىٰ الزمن، إنّ اليوم الذي يقرأ فيه الرجل كتابًا فيتبادر إلىٰ ذهنه احتمال أن يكون قد صدر عن غير عقل، ولكن بتأثير

---

(١) حوار مع صديقي الملحد، (ص٢٨، ٢٩).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص١١١).

قانون الخبط الشامل، إن ذلك اليوم يكون فيه التصور الإنساني قد انحل انحلالًا لا يرجىٰ معه التئام، ووصل من عالم الخبط إلىٰ مكان سحيق، فكيف يكون مؤلَّف من غير وجود مؤلِّف؟ وأنّىٰ لباحث «أن يشبه حالة القوىٰ الوجودية العارية من كل قانون، المجردة من كل ضابط، كما يفترضها الكاتب، بآلة ميكانيكية كالمطبعة قائمة علىٰ أدق قوانين الميكانيكا والرياضة، ولها قطع منقوش علىٰ رءوسها حروف تتألف من كلمات، ... وهذه المطبعة الميتة لا تغني شيئًا إذا لم يكن لها عمال يحركونها، ويدبرون دوراتها، ويراقبون كل خلل يطرأ عليها أثناء العمل؟ إن هذا التشبيه معيب للدرجة القصوىٰ، بل هو غير جائز أصلًا، ومجيئه من باحث ينتمي للرياضيين يزيد في غرابته، وأدخل من كل ما مرّ في عالم الأوهام، زعم الكاتب أن المطبعة ذات المليون حرف تستطيع تحت تأثير قانون الخبط الشامل، أن توجد جميع المؤلفات التي قام بوضعها العقل البشري الناقص، أو تنزلت من العلم الإلهي الكامل، فهذا القول لو صدر من جاهل ساذج لا حظّ له من أبسط ضروب الثقافة العقلية، لما اغتفر له بحال من الأحوال،... المدهش المحير للعقل في هذا الردّ، أنه يعيب علىٰ أينشتين قوله: إن الكتاب يدل دلالة قاطعة علىٰ وجود عقل وضعه، ويدّعي أن هذه الدلالة خاطئة، إذ يصح أن يكون نتيجة لغير العقل، أي لقانون الخبط المحض!!»(١).

- وبذلك يتضح عدم التزام الدكتور أدهم بالحيدة والموضوعية في عرض الأفكار التي تناولها في مقالته، فقد جاهد في تغليب طابع الوهم والخيال علىٰ الطابع الفكري، فلم يوازن بين الفكر والميل النفسي (الذوق الشخصي)، وظل يعرض أفكار الفلاسفة والرياضيين مغيرًا في بعضها كما في تعريف الإلحاد لـ«لودفيج بخنر» حيث وضع تعريفًا آخر للإلحاد، رافضًا هذا التعريف، كما حرّف في بعضها الآخر، فقد

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص١٠٩، ١١٠).

حرّف أقوال الفيلسوف «عمانوئيل كانط» بادعاء أنه قال: ليس هناك دليل عقلي أو علمي علىٰ وجود الله، رغم أنه كان من أكبر المؤمنين بالله. كما قام د. أدهم بتخطئة «ألبرت أينشتين» الذي أرجع نظام الكون وإتقانه إلىٰ شيء غامض لا تصل إلىٰ إدراكه عقولنا هذا الشيء هو «الله».

وعاب علىٰ «السير جيمس جينز» قوله: «لا مندوحة لنا أن نبحث عن عقل رياضي يتقن لغة الرياضة يرجع له الكون، هذا العقل الرياضي الذي نلمس آثاره في الكون هو «الله»»(١).

فلم يستخدم الكاتب المنطق والأدلة إلا ليثبت ما يظنه ويعتقده من الفكر الخاطئ، ولم يقنع القارئ وإنّما يستثيره غضبًا وتعجبًا من تلك الجرأة في الحديث عن الله (ﷻ)، الخالق ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

- الفكرة الرئيسة التي بنىٰ الكاتب مقالته عليها فكرة خاطئة، وهي أن العالم كله يخضع لقانون الاحتمال والصدفة.

- كما اتسم العرض بغموض الأفكار واضطراب الكاتب في عرضها، فتارة يشبه قانون الصدفة أو الاحتمال بزهر النّرد، وتارةً يشبه الكون وكل ما فيه من كتب مقدسة وغيرها بحروف المطبعة، مما لا يستقيم مع العقل، فكيف بمن يحمل أرقىٰ الشهادات العلمية؟!!، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٧، ٧٨).

٤- الخاتمة:

اقتصرت الخاتمة في مقالة د. أدهم على اعترافه بصعوبة ما قرره بشأن قانون الصدفة، وتعليله لذلك بأن مفهوم الكلام رياضي صرف، ومن الصعب التعبير عنه في غير أسلوبه، وادعائه أن هذه النظرية تعطي العالم مفهومًا جديدًا، وأن الزمن كفيل بإزالة تلك الصعوبة، كما أشار إلى الهدف الذي وضع من أجله المقالة وعمل على تحقيقه، بالثبات على عقيدته العلمية، والدعوة إلى نظريته القائمة على قانون الصدفة الشامل، وكما بدأ الكاتب مقالته بأسلوب التجهم والهجوم على عقيدة الإسلام في مخاطبته للدكتور أحمد زكي أبي شادي، ختم مقالته بذلك مدعيًا أن ما توصل إليه من قانون الصدفة «يعتبر أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله»(١).

فمع أن الخاتمة جاءت موجزة حاسمة، وبدا موقف الكاتب فيها ثابتًا على رأيه، فإنها خالية من المنطقية والإقناع للمتلقي، وتجانب الصواب، لأنها مبنية على فكرة خاطئة لا يقبلها العقل، ولا الفطرة الإنسانية، ولا العلم الصحيح الذي يهدي إلى الخالق، يقول (ﷻ): ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت:٥٣، ٥٤].

فلم يخطر على بال د. أدهم – في تحامله على عقيدة التوحيد وأتباعها، «أنها صادرة من أعماق الضمير، وأنها صدى لعاطفة متغلغلة في أطواء النفس، وحاجة من

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٦).

حاجات القلب الإنساني»[١].

وأقرّ بها حكماء الفلاسفة – كما مرّ سابقًا – فكما أن وراء كل كتاب قيم، عقل إنسان عبقري أبدعه، فإن وراء نظام الكون «شيئًا غامضًا لا تصل إلىٰ إدراكه عقولنا، هذا الشيء هو الله»[٢].

فضلًا عن أن المصير المحتوم الذي تعجل الكاتب إليه بانتحاره، ينسف ما ادّعاه من السعادة الروحية، ويذري في الهواء فلسفته العلمية، فقانونه الوهمي لم يحقق له التوازن النفسي، وكانت الضربة المسددة من عقله الضّال إلىٰ قلبه بفقد الإيمان؛ فقد الأمان، فقد الملجأ، فقد القوة، فكان الاستسلام، والضعف، وذهاب ريح الحياة، نتيجة طبيعية ومنطقية للإنسان الذي يعاند نفسه، ويخالف فطرته، فخاتمة حياته تتعارض مع خاتمة مقاله فمن أين يتحقق الإقناع؟!!

(١) بين الفلسفة والأدب، علي أدهم، (ص٨٢، ٨٣)، كتابات نقدية (٧٢)، مارس ١٩٩٨م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٤).

المبحث الثاني: التحليل النقدي للمقالتين

أولاً: خصائص الأفكار والمعاني:

المعاني والأفكار من أهم عناصر العمل الأدبي حيث تبدو فيها شخصية الأديب ومدىٰ حظه من الثقافة، ومدىٰ صدق موهبته الأدبية في القدرة علىٰ الإقناع، وقد تميزت مقالة الدكتور أحمد زكي «لماذا أنا مؤمن؟»، بعدة خصائص هي:

١- **صحة المعاني والأفكار، والمراد بها:** «النظر في مطابقتها لما لا ينكره العقل الإنساني، والحقائق التي تعرفها بيئة الأديب الذي يوصف بالخطأ إذا ما حاول الخروج علىٰ ما يعرف الناس، أو ما تسلم عقولهم وثقافتهم وتجاربهم به»(١).

وصحة المعاني والأفكار هي الأصل في رؤية الكاتب ومحور تصوره لعقيدة الألوهية، والتعليل لتمسكه بها، والإشادة بخصائصها كما في قوله: «أن الإحساس بالألوهة إحساس فطري شبه غريزي، وهو انجذاب الجزء نحو الكل»(٢).

٢- **المنهجية في التناول والموضوعية في المعالجة**(٣)، حتىٰ بدا المقال قريبًا من منهج البحث في إثبات «عقيدة الألوهية» والرد علىٰ ما يثار حولها من شكوك، والتصدي للدفاع عنها، مما يفصح عن عقل الكاتب وفكره، وطريقته في الاستعانة بالثقافة الواسعة، والاعتماد علىٰ المنطق في تعميق أفكاره، والتدليل علىٰ صحة ما ينتهي إليه من رأي وموقف. فمن اعتماد الكاتب علىٰ المنطق قوله معللًا لكون الإيمان غريزة وفطرة في النفس الإنسانية: «وهذا الإحساس له قوام علمي من حيث

---

(١) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، (ص٣٦٤)، ط٢، ١٩٧٠م، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٠، ٧١).

(٣) فن المقال في الأدب المصري الحديث، دراسة فنية تاريخية، د. أحمد محمد علي حنطور، (ص١٣١)، ط١، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

إننا ذرات كهربائية في كون مكهرب من أوله إلىٰ آخره، فالتجاوب بين أجزائه مستمر بصور شتىٰ، ولكن يشملها جميعًا شعور التوحد، وهذا الشعور الصوفي هو أساس «عقيدة الألوهة»(١).

ومن التزام الكاتب بالحيدة والموضوعية، والتجرد في التناول، أن المقالة نقد لقانون الصدفة الذي ادعاه د. أدهم، أي نقد للفكر وليست نقدًا للقائل، حتىٰ قول الكاتب: «وأعتقد أن الدكتور أدهم نفسه راضخ لهذا الإحساس وإن لم تعجبه تفاسير عامة الناس للألوهة فإني لم أر في حياتي ملحدًا بالمعنىٰ الشائع، حتىٰ مَنْ يدّعون ذلك نجد أن لهم إيمانهم الخاص»(٢).

فالكاتب يقرر ما يؤكده علم مقارنة الأديان، ومعظم العلماء والمفكرين بأن صحائف الفكر البشري لم تشهد إنسانًا بغير عقيدة، وكل ما حدث من أوجه الاختلاف في هذا الصدد، فهو منحصر في التصور الذي تصور به هذا الإنسان أو ذاك الله كيف يكون؟ حتىٰ الفلاسفة المعاصرون الذين تغلب عليهم النزعة الطبيعية – التي ملخصها أنه ليس وراء هذه الطبيعة شيء، فلا يفوتهم أن يتصوروا الله علىٰ هذه الخلفية نفسها، كأن يقولوا مثلًا: إنه بمثابة القوانين الخافية عن البصر، والتي تنبث في الكون فتنظمه، ولكن فليقولوا في الأمر ما يقولون؛ لأن النتيجة في النهاية هي اختلاف في التصور، لا اختلاف في أساس الاعتقاد بوجود «الله»(٣).

فوجود الذات الإلهية قائم في ضمير كل إنسان، مهما ادّعىٰ الملحد نفسه الإنكار،

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧١).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١).

(٣) مجلة الهلال، (ص٨١: ٢١)، عدد أبريل، ١٩٧٩م، من مقال بعنوان (الله في حياة الإنسان في فكره وسلوكه)، للدكتور زكي نجيب محمود.

ومهما تذرع بخياله الضال، ومهما حاول إقناع غيره بذلك، ومهما زعم السعادة والطمأنينة في البعد عن الله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٣].

٣- **وضوح المعاني والأفكار**(١): إذ إن غاية الكاتب التأثير والإقناع بالفكرة، والغموض لا يحقق أسرًا للنفوس، والمعاني تكون واضحة بقدر قربها من الأفهام، وبعدها عن الالتواء في التعبير عنها، وهو ما اتضح في مقالة أبي شادي.

- أما مقالة: «لماذا أنا ملحد؟» للدكتور أدهم فقد بنيت علىٰ فكرة خاطئة وهي: إنكار وجود الله (سبحانه)، وخضوع العالم بكل ما فيه حتىٰ الكتب المقدسة كالقرآن الكريم لقانون الصدفة، فقد خلت من المنطق الصحيح الذي يخاطب الفكر، ويقنع العقول، فلم ينشأ الكون وما فيه بمحض الصدفة كما زعم د. أدهم بهذا المنطق الخاطئ: « فإذا كان كل ما في العالم يخضع لقانون الاحتمال فإني أمضي بهذا الرأي إلىٰ نهايته وأقرر أن العالم يخضع لقانون الصدفة»(٢).

فمنهج الكاتب هو: التدليس والتضليل في طرح الأفكار التي لا يقبلها العقل الصحيح.

- خلت المقالة من التزام الكاتب بالحيدة والموضوعية في التناول، إذ بدأ المقالة باتهام أبي شادي بالجهل بالطبيعة، بل والتجرأ علىٰ الذات الإلهية (حاش لله): بأنه أكبر مشكل في الكون (تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا).

وختم المقالة بالتعصب ضد المؤمنين بالله، وبأن قانون الصدفة الشامل يعتبر

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، د.أحمد أحمد بدوي، (ص٤٤٠)، ط٦، ٢٠٠٤م، دار نهضة مصر.

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٠).

«أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله»(١)، فلم يكتف بنقد الفكر (عقيدة الألوهية)، وإنما تعرض بالسخرية من القائل، والتجرؤ علىٰ الخالق (ﷻ)، والمؤمنين بالله (ﷻ)، مما ينم عن الثقافة المحدودة، والاضطراب في الحكم، والسطحية، والاندفاع وراء الميول والأهواء التي تحيد عن الصواب.

- في المقابل برزت شخصية الدكتور أحمد زكي - في مقالته (لماذا أنا مؤمن؟) قوية واضحة، حيث كانت الثقافة الواسعة هي الرافد الذي ينأىٰ به عن الاضطراب في الحكم أو السطحية، وكانت الشاعرية هي المصدر الذي يميز مقالته بالتأثير والذاتية والإمتاع والإقناع، فأبو شادي «صاحب ثقافة موسوعية، وكان متمكنًا من لغته القومية، مطلعًا علىٰ الآداب العالمية خاصة الأدب الإنجليزي لتمكنه من اللغة الإنجليزية إلىٰ حدّ التأليف فيها شعرًا ونثرًا»(٢).

(١) السابق، (ص٦٦).

(٢) مصطفىٰ عبد اللطيف السحرتي، د. كمال نشأت، (ص٥٣).

ثانيًا: خصائص الألفاظ والأساليب:

عبر الدكتور أحمد زكي عن رؤيته بأسلوب أدبي أخاذ يجمع بين الإقناع العقلي، والإمتاع الفني، والتأثير الوجداني بامتزاج الفكرة بالعاطفة.

فمن أهم الظواهر الأسلوبية التي تميز مقالة «لماذا أنا مؤمن؟»:

١- **الدقة والوضوح:** حيث استخدم الكاتب الألفاظ الملائمة للفكرة، من حيث إن «الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني»(١).

فلا نجد ألفاظًا حوشية، أو عبارات معقدة، فالألفاظ تخاطب العقل وتناجي الفكر، وتناسب الموضوع، فقد اختار الكاتب الأسلوب الإنشائي في عنوان المقالة؛ للرد علىٰ مجادله بنفس الأسلوب الذي اختاره المحاور.

٢- **اتسم الأسلوب بالعمق والتدفق والترسل**، لأن الكاتب غزير العلم واسع الإطلاع، متوقد القريحة، «معبأ بموضوعه، ممتلئ بموقفه مشحون بإحساسه، يقلب فكرته محاولًا أن يستقصي أطرافها، وأن يقول فيها كلامًا علىٰ قدر شعوره بها وإحساسه»(٢)، وبذلك تمتزج الفكرة بالعاطفة، والذاتية بالموضوعية، فالكاتب يتحدث عن عقيدته التي يدين بها، ويدفعه صدق الشعور والعاطفة إلىٰ الدفاع عنها، واستخدام ضمير المتكلم في العنوان: «لماذا أنا مؤمن؟»، يعبر عن تجربة شعورية تشع بمعاني الإخلاص والتعلق بالإيمان، والارتباط بالخالق، وصدق العاطفة وقوتها من أهم المقاييس النقدية التي «تهب الأدب قيمة خالدة»(٣).

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، أ. تمام حسان، (ص١٧٧)، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩م.

(٢) التصوير البياني في شعر المتنبي، (ص١٤٠).

(٣) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، (ص١٩٠، ١٩٣)، ط٨، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية.

٣- استخدام الأسلوب العلمي المتأدب بامتزاج الفكرة بالعاطفة:

فمع أن موضوع المقال علمي عقدي؛ إلا أن الألفاظ المصورة تتعانق مع الموقف النفسي للكاتب، كما في قوله: «وقد أوجب الإسلام علىٰ كل مسلم أن يبشر بهذه الحقائق، لا فارق في ذلك بين حاكم ومحكوم، ولا بين موظف وغير موظف، ولا بين شعب وآخر من الشعوب الإسلامية، ولهذا دفعني ضميري إلىٰ إنشاء هذه السلسلة من البحوث الإسلامية الحرة لأن هذه فريضة دينية في اعتقادي واجبها يلزم كاتبًا مثلي حمل القلم أكثر من ثلاثين عامًا ... وهو واجب أقدمه محبة لله ﷻ وأنا في الحلقة الخامسة من عمري»(١).

فالطابع الأدبي المصور هو الذي يغلب علىٰ المقالة، فإيمان الكاتب بعقيدته وحبه لها، وواجبه الديني يحتم عليه الدفاع عنها، وبخاصة أنه من حملة القلم، وقطع ثلاثين عامًا في الكتابة، وأصبح في العقد الخامس من عمره، ولهذا يقول: «وقد كان شأني شأن الجندي الجريء الذي يجد الصفوف قد افتقدت الرائد فيتطوع مندفعًا للقيام بهذه المهمة»(٢).

فالصورة التشبيهية تحمل عاطفة الكاتب الجياشة، وليست مجرد صورة حسية بمعزل عن العاطفة، وهي بدلالتها الرحيبة تغني عن ألفاظ كثيرة.

٤- استخدام الكاتب أسلوب الالتفات:

لحرصه علىٰ التنوع في طريقة عرض أفكاره، وهو وسيلة لجذب انتباه السامع، ذلك أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلىٰ أسلوب؛ كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه علىٰ أسلوب واحد، فالنظم الحيّ هو الذي

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٩).

(٢) السابق، (ص٣٠).

يشدك إليه، ويحفزك علىٰ التفكير والتأمل فيه»[١].

فقد التفت الكاتب من التكلم إلىٰ الغيبة في هذه النتيجة التي توصّل إليها: «وعلىٰ هذا نرىٰ أن الدكتور أدهم لم ينقض بذكائه وتخليه ومعارفه الرياضية شيئًا من عقيدة الألوهية، كما لم يمس الإسلام ذاته كدين إنساني لهداية البشر وتنظيم حياتهم»[٢]، كما اتضح دور الموهبة الأدبية للكاتب في إثارة شعور المتلقي بالأسلوب الإنشائي في: [لم ينقض، لم يمس]، ونقل شعوره وعاطفته إليه بنفس التأثر.

٥- توظيف اللغة الصوفية:

التي تضفي علىٰ المعاني عبق التصوف الإيماني وروحانياته، كما في قول الكاتب: «إن الإحساس بالألوهية إحساس فطري شبه غريزي، وهو انجذاب الجزء نحو الكل»[٣]، ويفسر الكاتب هذا الإحساس بأنه: من دوافع شغفه بعلم الفلك وتردده علىٰ المراصد، لأنه يجد في ذلك عبادة صوفية واستغراقًا في معاني الألوهة، ولولا هذا الإحساس لما تأمل وفسر، فالشعور الديني ليس عقليًا فحسب بل لابد له من استعداد وجداني، وهذا التأمل الصوفي هو ما نعته الغزالي بالنظر إلىٰ وجه الله[٤] في قوله: «أجل اللذات وأعلاها معرفة الله والنظر إلىٰ وجهه، ولا يؤثر عليها لذة أخرىٰ إلا من حرم هذه اللذة»[٥].

---

(١) من بلاغة النظم العربي (دراسة وتحليل لمسائل علم المعاني)، د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة، (ص٩٩).

(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١).

(٣) المرجع السابق، (ص٧٠).

(٤) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٣١).

(٥) السابق، (ص٢٧).

٦- **شاع أسلوب الجزم والنفي في ردّ مزاعم الدكتور أدهم** بشأن عقيدة الألوهية، كما في: «لم ينقض، لم يمسّ، لم أر، لم تعجبه، لم يزد] وذلك في الخاتمة والنتيجة التي توصل إليها الكاتب في مقاله بعد سرد الأدلة المنطقية.

٧- **كما شاع أسلوب النفي:** في نفي ادعاءاته بأن قانون الاحتمال هو السائد في الكون، وأن كل أثر فيه حتىٰ القرآن الكريم عرضة لأن يكون أثرًا من آثار هذا القانون العام كما في: [لا أرىٰ، لا يعد و ، لا يذهب، ولا بأي كاتب، وليس لسيطرة، لا تتأثر، لا تقع عمليًا، لا يمكن، لا ينقض، لا محل لتوهم، لا يحتمل]، مما يتناسب وطبيعة الموضوع ونفسية الكاتب، ورفض مزاعم الدكتور أدهم.

٨- **اعتمد الكاتب أسلوب التقابل المعنوي بين الجمل:** لتوضيح المعاني، وتعميق الإحساس بها، والكشف عما فيها من مغالطات فكرية، وتناقضات حادة، ومفارقات عنيفة كما في: [العالم متناه في حساب أينشتين، ولكنه عمليًا غير متناه]، (تؤثر – ولا تتأثر)، (نظري محض، لا تقع عمليًا)، (الكون محدود، ولكنه غير محدود)، (تكييفًا منظمًا، لا تكييفًا قائمًا علىٰ الفوضىٰ)، (بالنسبة للكون، لا بالنسبة للإنسان).

٩- **يمتاز الأسلوب بالإطناب والتفصيل والتعليل**، والوحدة والتماسك، وهذا ما يجعل الكاتب علىٰ علم «بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، ولا يستعمل الإيجاز في موضوع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلىٰ الإيجاز والملال»[(١)].

فالكاتب أمام قضية يناقشها، ويريد إقناع المتلقي بها، وهذا يتطلب الإطناب في

(١) نقد النثر، قدامة بن جعفر، (ص٩٦)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

عرض الفكرة لا الإيجاز فيها، ومن أساليب الإطناب التي وظفها الكاتب: الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال لما يحققه من توكيد للمعنىٰ بذكره مرتين، إحداهما إجمالًا، والأخرىٰ تفصيلًا، كما يكمن فيه لون من التشويق الذي ينبع من دلالة التراكيب بين الإجمال والتفصيل من ذلك: مقابلة الكاتب بين خصائص الإسلام وغيره من العقائد الأخرىٰ «وراثته لحسنات الديانات السابقة وقيامه علىٰ العقل والعلم»، ثم يفصل ذلك بقوله: «فأما عن وراثة الإسلام لحسنات الديانات السابقة، وقيامه علىٰ العقل والعلم فقد تجليا في أنضر عصوره بمظهر التسامي الفكري وتقدير الفلاسفة والعلماء والأدباء والشعراء أيًا كانت عقائدهم .... وعلىٰ قدر ذلك التسامح وحرية الفكر والاجتهاد كانت تنمو عظمة الإسلام الروحية والفكرية بل والمادية أيضًا»(١)، وآثر الكاتب الأسلوب الخبري في عرض مزايا الإسلام، لأنه يصف حقائق مضت يظللها اليقين والصدق.

ومن أساليب الإطناب التي ذكرها الكاتب في مقالته: التكرار لإقرار المعنىٰ وتثبيته في النفوس، فإن الشيء إذا تكرر رسخ في الأذهان رسوخًا، وهو من «سنن العرب في إظهار العناية بالأمر»(٢)، من ذلك قول الكاتب: «وعلىٰ هذا نرىٰ أن الدكتور أدهم لم ينقض بذكائه وتخيله ومعارفه الرياضية شيئًا من عقيدة الألوهة كما لم يمس الإسلام ذاته كدين إنساني لهداية البشر وتنظيم حياتهم»(٣).

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٩، ٧٠).

(٢) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، (ص٣٧٣)، تحقيق د. مصطفىٰ السقا، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٨١).

ومن أساليب الإطناب: الاعتراض والاحتراس أو التكميل، والتميم لإثارة العواطف، وإقناع العقول، والتأثير في النفوس، كما في قول الكاتب: «يبني الدكتور أدهم إلحاده المزعوم علىٰ أن قانون الاحتمال هو السائد في الكون، وإذن فكل أثر فيه – حتىٰ القرآن الكريم – عرضة لأن يكون أثرًا من آثار هذا القانون العام، وبهذا تنتفي قدسيته كما ينتفي وجود قوة مدبرة حكيمة هي قوة الألوهة، وهذه جراءة في استغلال قانون الاحتمال يتهيبها أخبر الناس به دون استثناء شركات التأمين! ورأيي أولًا: أن عقيدة الألوهة قائمة علىٰ الإحساس الجذبي من الجزء نحو الكل، فهي ذات أساس علمي صادق، كما أنها في حكم الغريزة النفسية، وأعتقد أن الدكتور أدهم نفسه راضخ لهذا الإحساس وإن لم تعجبه تفاسير عامة الناس للألوهة فإني لم أرَ في حياتي ملحدًا بالمعنىٰ الشائع، حتىٰ مَنْ يدعون ذلك نجد أن لهم إيمانهم الخاص»(١)، فأسلوب الاعتراض يتناسب مع تلك الخاتمة التي يركز فيها الكاتب علىٰ ردّ مزاعم د. أدهم في قانون الاحتمال الذي ينفي به القداسة عن القرآن الكريم، وإنكار وجود الله (ﷻ عما يقولون علوًا كبيرًا)، ويتناسب مع الإسراع إلىٰ المطلوب، بالتأكيد علىٰ أهمية عقيدة الألوهة، والتنبيه علىٰ قداسة الذات الإلهية، وقدسية القرآن الكريم.

ويأتي أسلوب «الاحتراس أو التكميل»(٢)، لدفع توهم ما يدعيه د. أدهم وأنه هو نفسه «راضخ» لإحساس الألوهة، بصيغة اسم الفاعل، للإيحاء بإيغال وتمكن هذا الإحساس في نفسه رغم مزاعمه الرافضة له، لأنه إحساس فطريّ في نفس أي إنسان،

---

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة ذاتها.

(٢) الاحتراس ويسمىٰ التكميل وهو: أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، الإيضاح للخطيب القزويني، أ.د/ عبد القادر حسين، ط١، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

ومن ثم يأتي أسلوب «التميم»(١)، للتأكيد علىٰ تمكن هذا الإحساس في نفس كل إنسان حتىٰ من يدّعون الإلحاد، فإن لهم إيمانهم الخاص في تصور وجود الإله لا نفي وجوده ألْبتّة، ويتعاضد أسلوب النفي: (لم أر في حياتي ملحدًا بالمعنىٰ الشائع) مع السياق؛ لإفادة الإنكار علىٰ الدكتور أدهم موقفه الشاذ، والتعجب من معتقده الخاطئ، رغم الدليل العلمي، والفطري، مما يحمل عمق انفعال الكاتب وضيقه بالمنطق الفاسد، والإصرار علىٰ الاتجاه المعاند للفطرة، والتشبث بالتدليس الفكري لدىٰ الدكتور أدهم.

فالمزاوجة بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي يهدف بها الكاتب: الإقناع عقلًا ووجدانًا بعقيدة الألوهة، فهي الحقيقة الثابتة بالأدلة.

كما استخدم الكاتب أسلوب «التعريض»، وهو خلاف التصريح، بإطلاق الكلام والإشارة به إلىٰ معنىٰ آخر يفهم من السياق(٢)، كما في قوله: «وليس بعيدًا أن الدكتور أدهم يشعر في ذاته بهذا الشعور، ولكنه يدع هذا جانبًا ويتشبث بنقض الأوهام الشائعة وإزاءها يؤثر أن يسمي نفسه ملحدًا علىٰ أن يكون مؤمنًا غير معقول ولا عاقل»(٣).

فالأسلوب يحمل في طياته عنصر الإثارة لمشاعر الدكتور أدهم، وإلزامه الحجة لاختياره الكفر علىٰ الإيمان، والجنون علىٰ العقل، والتعريض بذمه، والتعجب من هذا الموقف المتشبث بالوهم الواهي، والفكر المضلل، فضلًا عن جذب الانتباه

---

(١) التميم: وهو أن يؤتىٰ في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة، الإيضاح، (ص٢٢٨).

(٢) المفصل في علوم البلاغة، د. عيسىٰ علي الكاعوب، (ص٥٤٣)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، دار العلم.

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٢).

بالتقابل بين الموقفين، وتجاهل العارف، مما يبرز عاطفة الكاتب الثائرة إزاء هذا الموقف الرافض للإيمان.

١٠- التأثر بالقرآن الكريم اقتباسًا وتضمينًا:

مما يدل علىٰ ثقافة الكاتب الإسلامية، ويؤكد عاطفته الدينية، وقدرته علىٰ توظيف النص القرآني لتقرير المعنىٰ وتأكيده، لأن مبنىٰ الاقتباس علىٰ الالتئام والتلاحم بين المفردات، وفي امتزاج بلاغة القرآن، مع بلاغة الكاتب، يظهر المعنىٰ قويًا بليغًا في نظم يجذب الأذهان لما يقال فيرسخ المعنىٰ في النفوس، ومن ذلك: تفسير الكاتب لعقيدة الألوهة بأنه يحتضن الآية الكريمة التي ينبع منها التصوف الإسلامي: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، والآية الشريفة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥] (١)، فالتأثر بالقرآن العظيم هو معين الكاتب في إثبات وجوده تعالىٰ، ومن ذلك قول الكاتب: «وعقيدة الألوهة لا تخالف العلم السليم ولا الإحساس النفساني النقي، لأنها تقوم علىٰ الإحساس الصوفي الفطري، إحساس الجزء بالكل، ووحدة الوجود التي تشع عليها آية الكرسي»(٢).

فهي أعظم آية في كتاب الله: «لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات»(٣)، وعن فضلها يقول النبي (ﷺ): «والذي نفسي بيده إنّ لها لسانًا وشفتين تُقدّس الملِكَ عند ساق العرش»(٤).

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٧٢).

(٢) السابق، (ص٤٥).

(٣) شرح مسلم للنووي، ٦/ ٩٤.

(٤) أخرجه أحمد برقم (٢٠٥٨٨) بإسناد صحيح.

١١- التأثر بالحديث النبوي الشريف: من ذلك قول الكاتب: «إن الشعور بالألوهة في اعتباري ليس مسألة خوف أو جهل علىٰ ما يرىٰ بعض المفكرين الغربيين، بل هي مسألة فطرية سيكولوجية مبعثها إحساس الجزء بالكل، وهل نحن في المعنىٰ التصوفي إلا أبناء الله»(١)، فهو يشير إلىٰ حديث النبي (ﷺ): «الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله»(٢)، ويوظف الكاتب اللغة الصوفية بدلالتها الرحيبة في تأكيد الإيمان بالله وعلاقة التجاذب بين الخالق والمخلوق.

١٢- نأىٰ أسلوب الكاتب عن التكلف والتقليد، والصنعة البديعية، ولم يتطرق إلىٰ العامية، فجاءت المقالة قوية التفكير، شائقة العرض، قوية المنطق، تؤثر في المتلقي.

أما مقالة: «لماذا أنا ملحد؟»، فمما يميز أسلوبها: التعبير عن الكاتب نفسه، إذ الأسلوب هو ما يميز كاتبًا عن غيره، فهو: «لغة استكفائية تغوص في الميثولوجيا الشخصية والسردية للكاتب»(٣)، فالمقالة تعكس شخصية الدكتور أدهم في طريقة الكتابة والتفكير، ونظرته للأشياء جميعًا، من المنظور الرياضي الصرف، الذي لا أثر فيه للعاطفة أو الشعور، حيث إن «عقلية إسماعيل أدهم وقفت عند حدود المقادير الكمية من خلال المبدأ الرياضي عن الوحدة والعلاقة»(٤).

وبناء علىٰ ذلك فالأسلوب في المقالة يتسم بالغموض واللغة الرياضية الجافة،

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٤٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ١٣٧٠٧.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة د.سعيد علوش، (ص١١٤)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٤) إسماعيل أدهم، د. أحمد الهواري، (ص١٦، ١٧).

التي تحول الأسلوب إلىٰ معادلات وأرقام إحصائية ورموز لا تخاطب العقل، أو تؤدي إلىٰ الإقناع بالفكر، ولا تتسم بالدقة والتحديد والاستقصاء، كما هو شأن المقالة العلمية، التي تؤدي الحقائق وتخدم المعرفة الإنسانية؛ لأن الكاتب بنىٰ مقالته علىٰ أفكار (منطقية) خاطئة، وهي خضوع العالم بكل ما فيه لقانون الصدفة الشامل، وقد أدرك الكاتب نفسه غموض أسلوبه فاعتذر بأن مفهوم الكلام رياضي صرف، ومن الصعب التعبير عنه في غير أسلوبه الرياضي، وأن الزمن وحده قادر علىٰ إزالة تلك الصعوبة(١).

وهذه حجة واهية، فغموض الأسلوب، وعدم قدرة الكاتب علىٰ التعبير عن أفكاره ينم عن اضطراب الفكرة وغموضها في نفسه، وكما يقول الأصوليون: «الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره»، فالكاتب يهذي بما يخطر له في عقله، دون أن يستقر في نفسه، وبخاصة أنه يعمد إلىٰ التدليس الفكري، وقلب الحقائق، وتأويل أقوال الفلاسفة بما يتفق وأهدافه، وهي: إنكار وجود الله، ومحاولة النيل من عقيدة الألوهة، ونفي القداسة عن القرآن الكريم، وهذا الاضطراب الفكري انعكس علىٰ الألفاظ والأسلوب، وخرج بالمقالة عن «حدود الطبيعة والألفة والمسامرة إلىٰ حدود الصنعة المرهقة والافتعال الممجوج»(٢).

من مثل قول الكاتب: «لنفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة، ومعلوم أن لكل زهرة ستة أوجه، فلنرمز لكل وجه بالرمز الآتي في كل من الزهرين:

يك: دو: ثه: جهار: بنج: شيش.

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٦).

(٢) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٢٥).

ل١ : ل٢ : ل٣: ل٤ : ل٥ : ل٦ في زهر النرد الأول.

ك١ : ك٢ : ك٣: ك٤ : ك٥ : ك٦ في زهر النرد الثاني.

وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتمل مجيئه إذا رمينا زهر النرد، فإن مبلغ الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنىٰ الصدفة التي نبحثها»(١).

فاللغة الغامضة تدل علىٰ ضعف أدوات الكاتب، حيث إن هناك تفاعلًا بين اللغة والتفكير، والفكر المنظم يعمل في تنظيم اللغة، ومن ثم يكون الغموض الذي يكتنف المعاني نتيجة للعجز عن التعبير، لأن اللغة لا تستخدم استخدامًا إشاريًا محدودًا، ولكنها تستخدم لتكون أداة إيحاء واستثارة، ونقل الحالة الشعورية(٢).

٢- جاء معجم الكاتب حافلًا بمصطلح الإلحاد، والصدفة والتصادف، والرياضيات، والمصطلحات العلمية كالفيزيقا في تقرير ما ادعاه بقانون الاحتمال: «وقد نجحنا في ساحة الفيزيقا (الطبيعيات) في أن نثبت أن (أ) إذا كانت نتيجة للسبب، فإن معنىٰ ذلك أن هنالك علاقة بين الحادثتين (أ) و(ب)، ويحتمل أن تحدث هذه العلاقة بين (أ) و(ج) وبينها وبين (د) و(هـ) ... ونحن نعلم أن قرارة النظر الفيزيقي الحديث هو الوجهة الاحتمالية المحضة»(٣).

والكاتب بذلك يتناقض مع نفسه، حين ينكر وجود الله مع أنه أظهر للعقول والفطر السليمة، ويقرّ بموضوعات الفيزيقيا التي أثبت العلم الحديث العجز عن

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦١).

(٢) أصول الأنواع الأدبية، أ.د. محمد أحمد العزب، (ص٤٠، ٤١).

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٠).

إدراكها الحسي(١).

٣- بدأ الكاتب مقالته بالحوار الذي ينـدّ عن الذوق الأخلاقي في الحوار والمناظرة؛ بنقد الكاتب نفسه ورميه بالجهل، ونعت الذات الإلهية (حاش لله) بأنها أكبر مشكل في الكون ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الصافات:١٨٠]. وأدلىٰ بثقافته الشعرية وموهبته الأدبية في صوغ الشعر.

- في حين ظهر أسلوب الدكتور أحمد زكي في غاية الرّقيّ الحواري في المناظرة؛ فقد كثر مخاطبته بـ«ناقدي، حضرة الدكتور»، واقتصر علىٰ نقد الفكر، وتفنيد الآراء، ومناقشة ما ساقه من حجج، مع عدم إغفال توجهه وثقافته وميوله، ودحض مزاعمه بمثل لغته وأدواته.

٤- شاع في أسلوب الكاتب استخدام العبارات والجمل الخبرية، محاولة منه في إضفاء ظلال الصدق واليقين: «أما ما يقول السير جيمس جينز فرغم أنه أخطأ في اعتباره الرياضة طبيعة الأشياء لأن نجاح الوجهة الرياضية في ربط الحوادث وتفسير تصرفاتها لا يحمل علىٰ أن طبيعة الأشياء رياضية بل يدل علىٰ أن هنالك قاعدة معقولة تصل بينه وبين طبيعة الأشياء...» (٢).

٥- استخدام أسلوب الشرط الدال علىٰ ربط المقدمات بالنتائج، مما يحرك خيال المتلقي لمتابعة جواب الشرط، لما فيه من التنبيه وإثارة التفكير والتركيز: «لو فرضنا أن الدش أتىٰ مرة واحدة من ٣٦ مرة أعني بنسبة ٣٦: ١ مرة ففي الواقع نحن نكون قد كشفنا عن صلة إمكان بين زهر النرد ومجيء الدش، وهذا قانون لا يختلف

(١) في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، د. يحيىٰ هاشم فرغل، (ص١٢)، (ص٣٠١).
(٢) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٦٤).

عن القوانين الطبيعية في شيء، إذًا يمكننا أن نقول: إن الصدفة التي تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطي حالات إمكان»(١).

٦- استخدام الضمير الجمعي في الحوار والمناقشة، لما ينشئه في نفس المتلقي من يقظة وتنبيه، ولإضفاء طابع التعميم في الأفكار التي يسردها الكاتب، وكأن الجميع يسلم بها سلفًا دون حاجة إلىٰ مناقشة: «يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير، .... ونحن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية ... ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التي كنا نخلعها عليها»(٢). (ﷻ عما يصفون).

ويتضح لجوء الكاتب إلىٰ أسلوب التأكيد للجملة الاسمية: «إن مقام فكرة الله- إن أصل فكرة الله».

٧- برز التكرار وهو سمة أسلوبية تدل علىٰ ما يرتكز في بؤرة شعور الكاتب ويسيطر علىٰ تفكيره، في إثبات ما ادّعاه بقانون الصدفة والتصادف، والاحتمال، والتلذذ بذكر أسباب الإلحاد، والاعتزاز به: «أنا ملحد»، وتحفيز المتلقي إليه: «نفسي ساكنة لهذا الإلحاد»، ولشدّ ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي أسعد حالًا وأكثر اطمئنانًا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني، وقد مكن ذلك الاعتقاد في نفسي الأوساط الجامعية».

«خرجت عن الأديان، تخليت عن كل المعتقدات، التخلي عن الإيمان بالله،

---

(١) حوار الإيمان والإلحاد ، (ص٦٣).

(٢) السابق، (ص٥٩).

التخلي عن فكرة الله، الجحود بالله، عدم وجود الله، لا دليل عقلي أو علمي علىٰ وجود الله، ليس هنالك من دليل عقلي أو علمي علىٰ عدم وجود الله، عدم قيام الأدلة علىٰ عدم وجود الله»[(١)]. (تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا).

فالتكرار يكشف عما يلح عليه الكاتب، ويسلط الضوء عليه، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة[(٢)]، وقد جاء به الكاتب لتمكين المعنىٰ وتأكيده في نفس المتلقي، والإطناب في عرض أفكاره الإلحادية، ومحاولة الإقناع بها عن طريق المقابلة بين حاله قبل الإلحاد، وحاله بعده، وتصوير مدىٰ الصراع النفسي قبل الإلحاد، والسعادة المزعومة بعده، وكأنه في عناده وتجبره يتمثل بقول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر:٢٩].

٨- انتقال الكاتب من الخاص إلىٰ العام، وضرب الأمثلة غير الواقعية المستحيلة عقلًا في تأكيد سيادة قانون الاحتمال، وتشبيهه تارة بزهر النرد، وأخرىٰ بالمطبعة التي فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف، ثم تجتمع وتتباعد لتخرج علىٰ سبيل المصادفة نفس المقال الذي كتبه، بل تخرج أصل الأنواع لدارون، وكذا القرآن - جل كلام رب العالمين، الذي ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

٩- خلت المقالة من الإقناع والتأثير، لأنها واهية المنطق، خاطئة الفكرة، لإنكار عقيدة الألوهة، وتحمس الكاتب لإثبات وهم الإلحاد، مما يدل علىٰ ضيق الأفق، وسطحية الثقافة، واضطراب الفكر، وصدق الله العظيم القائل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ

(١) حوار الإيمان والإلحاد، (ص٥٧: ٦٦).

(٢) قضايا النقد المعاصر، نازك الملائكة، (ص٢٤٢)، ط١، مكتبة بغداد، ١٩٦٢م.

يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وكان المصير المحتوم الذي تعجل به الكاتب أجله نتيجة حتمية للإلحاد وعبرة للتجرؤ علىٰ الذات الإلهية، ونفي القداسة عن كتابه العزيز، (جلّ جلالك يا الله).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي جزيل نعمه التي لا تعدّ ولا تحصىٰ، وأشكره أعظم الشكر علىٰ أن هدانا للإيمان، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد تمثلت أبرز نتائج البحث فيما يأتي:

- للبنية النفسية للإنسان دور كبير في التوجه الإلحادي، فشخصية إسماعيل أدهم كانت مضطربة نفسيًا، وغير سوية.

- الإلحاد مرض نفسي واجتماعي، ظهر لدىٰ إسماعيل أدهم رد فعلٍ للنشأة المتناقضة بين تعصب الأب وزوج العمة للدين، وتساهل الأختين الشقيقتين في السخرية بالنصرانية، فضلًا عن ثقافته الإلحادية التي تلقاها في الاتحاد السوفيتي، مما ساعد علىٰ خلق صراع نفسي عميق دفعه للتحرر من الأديان.

- الضّجة التي أثارها مقال (لماذا أنا ملحد؟) لها ما يبررها، لأنه حفل بالآراء المغلوطة عن الإسلام وعقيدته.

- كلا العنوانين سمة مميزة للأفكار الرئيسة، ويوحيان بالمضمون إيحاءً قويًا، فأحدهما رسالة تحفيزية للإيمان؛ (لماذا أنا مؤمن؟)، والآخر رسالة تحفيزية للإلحاد؛ (لماذا أنا ملحد؟)، بتلك الصيغة الإنشائية عبر أسلوب الاستفهام الذي هو في حقيقته طلب الفهم من المخاطب وإثارته وتحريك ذهنه ليظل ذهنه عالقًا بما يلقىٰ إليه من معان.

- جاءت مقالة: «لماذا أنا مؤمن؟»، محكمة النسج، قوية المنطق، تحقق الإقناع والإمتاع للمتلقي، لأنها قائمة علىٰ أفكار صحيحة، ومناقشة هادئة هادفة بالحوار الراقي، وإيراد الأدلة القاطعة والحجج الدامغة لردّ مزاعم د. إسماعيل أدهم الإلحادية الواهية.

- التوازن الدقيق في الكون ينفي القول بالمصادفة، ويدل علىٰ تناقض د. أدهم مع نفسه وفساد رأيه.

- خلت مقالة: «لماذا أنا ملحد؟» من الإقناع والإمتاع الفني، لأنها مبنية علىٰ أفكار خاطئة تخالف العقل والمنطق، بإنكار وجود الله، وادعاء أن جميع ما في الكون قائم علىٰ الاحتمال والصدفة، فما تطرق إليه الاحتمال يبطل به الاستدلال، فضلًا عن أن المصير المحتوم الذي تعجل إليه الكاتب بالانتحار غرقًا، ينسف ما ادّعاه بقانونه الإلحادي الوهمي!! وينفي مزاعمه بالسعادة الروحية، التي تعادل سعادة الصوفيين المؤمنين، لأن مَنْ خادع الله فهو المخدوع، ومَنْ عاند الله فهو المعاند، ومَنْ اجترأ علىٰ الله وجاهره بالكفران، باء بالخسران والنكال في الدنيا والآخرة.

- كشفت الدراسة عن دور العلامة: محمد فريد وجدي - في مقاله: «لماذا هو ملحد؟»- في مناهضة الفكر الإلحادي لدىٰ إسماعيل أدهم، ودحض آرائه المغلوطة، وردّ مزاعمه الواهية.

- خلت مقالة: «لماذا أنا ملحد؟» من الموضوعية، بتعصب كاتبها ضد الإيمان بالله ﷻ، والتنديد بالمؤمنين والهجاء والتهجم في بدء المقالة ونهايتها، والانتقاد للقائل، والتجرؤ علىٰ الذات الإلهية، مما يدل علىٰ الاضطراب النفسي، والخواء

الروحي الذي يسببه الإلحاد للإنسان، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزمر:٢٢].

- أبرزت مقالة: «لماذا أنا مؤمن؟» الحسّ الإيماني العميق لكاتبها في التصدي للمضللين والملحدين، والغيرة علىٰ الدين في مناهضة المزيفين، وقوة العاطفة الدينية وصدقها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية حبًّا وتقربًا إلىٰ الله سبحانه، لاسيما وأنه من حملة القلم منذ ثلاثين عامًا، ومضىٰ في العقد الخامس من عمره، وعدّ دوره الدّفاعي كالجندي الذي يحمل الراية، ويتقدم الصفوف للإمساك بها عالية خفاقة، فالشاعرية هي المصدر الذي يميز مقالته بالتأثير والذاتية والإمتاع.

- بينما أبرزت مقالة: «لماذا أنا ملحد؟» الحس الإلحادي لكاتبها، والتلذذ بالإلحاد، وتسخير معارفه الرياضية، ومهارته الذهنية في التضليل والتدليس، وقلب الحقائق فيما ادّعاه بقانون الخبط والعشواء، وانعكس ذلك علىٰ أسلوبه، فاتسم بالتعقيد والغموض والمراوغة، واعتراف الكاتب نفسه بصعوبة أسلوبه، وأن الزمن كفيل بتذليل تلك الصعوبة، مما ينم عن عقم الفهم وضيق الأفق، وغموض الفكرة واضطرابها في نفسه، وضيق الثقافة ومحدوديتها، التي لا تمكنه من توصيل رؤيته للمتلقي في يسر وسهولة، إذ تحولت المقالة في كثير من فقراتها إلىٰ رموز وأرقام أشبه بالمعادلات الرياضية أو الكيميائية.

- في حين بدا أسلوب الدكتور أحمد زكي واضحًا سهلًا مقنعًا بسمو الفكرة، ونبل المقصد، وصدق العاطفة، وقوة المنطق، ووظف الكاتب ثقافته الإسلامية من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، واللغة الصوفية، في الاستدلال علىٰ عقيدة الألوهية، وعلاقة المخلوق بالخالق، وموقع الإنسان في الكون، فضلًا عن الثقافة

الواسعة التي نأت بالكاتب عن الاضطراب في الحكم أو السطحية، ومكنته من التحليل والتعليل، وإيراد الشواهد والحجج القوية، ودرأ مزاعم مجادله وافتراءاته باللغة الموحية الرامزة التي تشف عن معناها ولا تحجب المعنىٰ عن المتلقي.

والله تعالىٰ أسأله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر:

١- **إسماعيل أدهم**، د. أحمد الهواري، نقاد الأدب [٤]، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٢م.

٢- **جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث**، ج١، تأليف د. عبد العزيز الدسوقي، ط٤، ٢٠٠٠م، ذاكرة الكتابة (١٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٣- **حوار الإيمان والإلحاد**، العلامة/ محمد فريد وجدي، الدكتور/ أحمد زكي أبو شادي، الدكتور/ إسماعيل أدهم، دراسة وتحقيق: أ.د/ محمد عمارة، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، السنة التاسعة والأربعون ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

٤- **حوار الإيمان والإلحاد**، لفيف من المفكرين والعلماء، دراسة وتحقيق أ.د. محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر، جمادىٰ الآخرة ١٤٣٥ هـ.

٥- **لماذا أنا ملحد؟**، إسماعيل أدهم، دار النشر الإلكتروني.

ثالثًا: المراجع:

٦- **الأدب العربي الحديث**، د. محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الأول، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الكليات الأزهرية.

٧- **الأدب العربي المعاصر في مصر**، د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة عشرة، مكتبة الدراسات الأدبية ٤، دار المعارف.

٨- **أسس النقد الأدبي عند العرب**، د. أحمد أحمد بدوي، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢م، دار نهضة مصر.

٩- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. محمود حمدي زقزوق، إصدار خاص لهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، الكتاب الحادي عشر، جمادىٰ الآخرة

١٤٢٧ هـ، طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة.

١٠- **الإسلام في عيون غربية**، د. محمد عمارة، الطبعة الأولىٰ، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥ هـ.

١١- **أصول الأنواع الأدبية (الشعر، القصة، الرواية، المسرحية)**، أ.د/ محمد أحمد العزب، نشر دار والي الإسلامية، ٢٠٠٥م.

١٢- **أصول النقد الأدبي**، أحمد الشايب، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة مصر.

١٣- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين.

١٤- **الأعمال الكاملة**، للشيخ محمد عبده، تحقيق د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٨م.

١٥- **الإيضاح للخطيب القزويني**، تحقيق أ.د/ عبد القادر حسين، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٦- **بين الفلسفة والأدب**، د. علي أدهم، كتابات نقدية (٧٢)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مارس ١٩٩٨م.

١٧- **التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين**، دراسة نقدية لكتاب (بسط التجربة النبوية)، أ.د/ محمد عمارة، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، السنة التاسعة والأربعون، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

١٨- **التحرير الأدبي، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية**، د. حسين علي محمد، الطبعة السابعة، ٢٠١١م، مكتبة العبيكان.

١٩- **التصوير البياني في شعر المتنبي**، أ.د/ الوصيف هلال الوصيف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠- **التفكير فريضة إسلامية**، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

٢١- **التيارات المعاصرة في النقد الأدبي**، د. بدوي طبانة، الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

٢٢- **جدد حياتك**، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة والعشرون، ٢٠٢٠م.

٢٣- **حوار مع صديقي الملحد**، د. مصطفىٰ محمود، دراسة وتقديم وتعليق أ.د/ محمد عمارة، طبعة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

٢٤- **حوار مع صديقي الملحد**، د. مصطفىٰ محمود، دراسة وتقديم وتعليق أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر، جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٦ هـ، مطابع الأهرام التجارية.

٢٥- **الحيوان للجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ٢٠١٨م، القاهرة.

٢٦- **ديموقريطس فيلسوف الذرة، وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة**، أ.د. علي سامي النشار وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٧- **سيمياء العنوان**، بسام قطوس، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، عمان، الأردن.

٢٨- **الشعر المصري بعد شوقي**، د. محمد مندور، الحلقة الثالثة، روافد أبوللو، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

٢٩- **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها، الجزء الرابع، (ص٢١٩٧)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسىٰ الحلبي، عام ١٩٥٥م.

٣٠- **عزيزي الملحد (أسئلة الملحدين أمام العقل والعلم)**، د. محمد محمد داود، الجزء الأول، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م، دار نهضة مصر.

٣١- **العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق**، أ.د. محمد البهي، دار الجمهورية للصحافة، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤٢٨ هـ.

٣٢- **على هامش الأدب والنقد**، علي أدهم، طبعة دار المعارف، ١٩٧٩م.

٣٣- **فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي**، سلسلة الذخائر، ١٦٨، تحقيق د. مصطفىٰ السقا وآخرين، تقديم د.محمد حماسة عبد اللطيف، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٣٤- **فن المقال في الأدب العربي المعاصر**، أ.د/ إبراهيم عوضين، طبعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٣٥- **فن المقال في الأدب المصري الحديث، دراسة فنية تاريخية**، د. أحمد محمد علي حنطور، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الأولىٰ.

٣٦- **فن المقال في ضوء النقد الأدبي**، د. محمد عبد اللطيف محمد الحديدي، طبعة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٣٧- **فن المقالة**، د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة بيروت، لبنان، الفنون الأدبية (١)، الطبعة الرابعة، الجامعة الأمريكية.

٣٨- **في الأدب الحديث**، د. عمر الدسوقي، ج١، ج٢، دار الفكر العربي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩- **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي، ج٦، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م.

٤٠- **في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم**، تأليف أ.د/ يحيىٰ هاشم فرغل، تقديم أ.د/ نظير محمد عياد، هدية مجلة الأزهر، صفر ١٤٤٦ هـ.

٤١- **قاموس الأدب العربي الحديث**، إشراف وتحرير د. حمدي السكوت، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٥م.

٤٢- **قصة الأدب في العالم في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى**، تصنيف أحمد أمين، زكي نجيب محمود، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.

٤٣- **قضايا النقد المعاصر**، نازك الملائكة، الطبعة الأولىٰ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٢م.

٤٤- **لسان العرب**، للإمام العلامة بن منظور، الطبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، دار الحديث.

٤٥- **اللغة العربية معناها ومبناها**، أ.تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م.

٤٦- **محمد فريد**، تأليف محمد عطية الإبراشي، سلسلة العظماء، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي.

٤٧- **مصطفى عبد اللطيف السحرتي**، د. كمال نشأت، نقاد الأدب (٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٤٨- **مصطلحات فلسفية**، (**فرنسي- عربي**)، دار الكتاب، جامعة محمد الخامس.

٤٩- **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، عرض وتقديم وترجمة د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٥٠- **معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المناطقة - المتكلمون - اللاهوتيون - المتصوفون)**، جورج طرابيشي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت.

٥١- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، طبعة ١٩٥٧م.

٥٢- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٥م، مكتبة الشروق الدولية.

٥٣- **المفصل في علوم البلاغة**، د. عيسىٰ علي العاكوب، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، دار العلم.

٥٤- **المقال وتطوره في الأدب المعاصر**، د. السيد مرسي أبو ذكرىٰ، طبعة دار المعارف، ١٩٨٢م.

٥٥- **من بلاغة النظم العربي دراسة وتحليل لمسائل علم البيان**، د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة، الجزء الأول، طبعة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٥٦- **نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

٥٧- **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، د. محمد رجب البيومي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، دار القلم، الدار الشامية، بيروت.

٥٨- **وهم الإلحاد**، أ.د/ عمرو شريف، تقديم د. محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر شهر المحرم ١٤٣٥ هـ.

الدوريات:

١- **مجلة الإمام** ، عدد أغسطس، ١٩٣٧م، القاهرة، مقال بعنوان: لماذا أنا ملحد؟، إسماعيل أدهم.

٢- **مجلة الهلال**، عدد أبريل ١٩٧٩م، مقال بعنوان: «الله في حياة الإنسان»، د.زكي نجيب محمود.

محاضرات دينية بإشراف مجمع البحوث الإسلامية عبر تطبيق التلجرام:

١- **محاضرة بعنوان: «الإلحاد في مواجهة المسلمات»**، تقديم: أ.د/ محمد عبد الدايم الجندي بتاريخ ٢٣/ ١/ ٢٠٢٥م.

٢- **محاضرة بعنوان: «معًا لمواجهة الإلحاد»**، تقديم: أ.د/ جميل تعيلب، بتاريخ ١٦/ ١/ ٢٠٢٥م.

٣- **محاضرة بعنوان: «وجود الله بين الفطرة والدليل»**، تقديم أ.د/ نظير عياد، بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠٢٥م.

٤- **محاضرة بعنوان: «حقائق الإيمان وأوهام الإلحاد»**، تقديم: أ.د/ محمد محمد داوود، بتاريخ ١٣/ ٢/ ٢٠٢٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٩١٦
المقدمة	١٩٢٠
التمهيد	١٩٢٣
المبحث الأول: البناء الفني للمقالتين	١٩٣٥
أولًا: البناء الفني لمقالة «لماذا أنا مؤمن؟»	١٩٣٥
العنوان– المقدمة – العرض– الخاتمة	١٩٣٨
ثانيًا: البناء الفني لمقالة «لماذا أنا ملحد؟»	١٩٦٢
العنوان – المقدمة	١٩٦٢
العرض	١٩٦٤
الخاتمة	١٩٧١
المبحث الثاني: التحليل النقدي للمقالتين	١٩٧٣
أولًا: خصائص الأفكار والمعاني	١٩٧٣
ثانيًا: خصائص الألفاظ والأساليب	١٩٧٧
الخاتمة	١٩٩٢
فهرس المصادر والمراجع	١٩٩٦
فهرس الموضوعات	٢٠٠٢